كشف المعاني

في

متشابه المثاني

تأليف

شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله
ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي

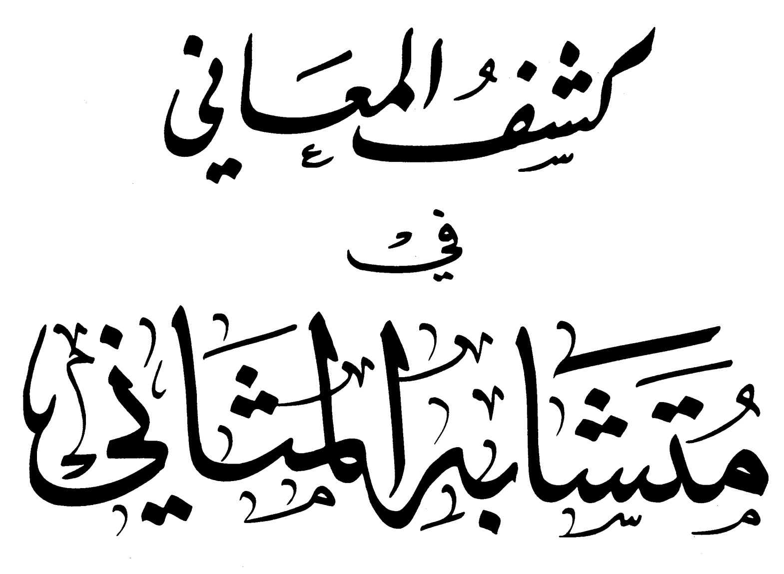
المتوفى ٧٣٣ هـ



تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل





كشف المعاني في متشابه المثاني

تأليف

شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله
ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي
المتوفى ٧٣٣هـ

تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: **Kašf al-ma'āni fī mutašābih al-Maṯāni**

Author: Badruddīn Ibn Jamā'ah

Editor: Muḥammad Ḥasan Ismā'īl

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 160

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: كشف المعاني في متشابه المثاني

المؤلف: بدرالدين ابن جماعة الكناني

المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل

الناشر: دار الكتب العلميــــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 160

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى



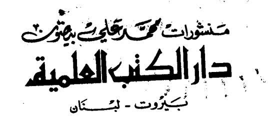
منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ



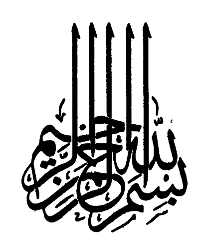
منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com





ترجمة المصنف

اسمه: هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن حازم بن صخر الكناني الحموي الشافعي.

ألقابه: حاز بدر الدين بن جماعة ألقاباً لها قدرها ودلالتها، مما يدل على علو مكانته ورفعة منزلته، وأشهر هذه الألقاب التي تكاد تجمع عليها المصادر [1] هو:

١- بدر الدين بن جماعة؛ وهو أشهرها.

٢- قاضي القضاة.

٣- شيخ الإسلام.

مولده: اتفقت المصادر التي ترجمت لبدر الدين بن جماعة على زمان ومكان مولده، فذكرت أنه ولد بـ(حماة) بسوريا، وكان في سنة ٦٣٩هـ.

التدريس: درّس بدر الدين بن جماعة في كبريات مدارس الشام ومصر، ويبيّن ابن كثير فضله ومكانته في التدريس فيقول: (واستمر ابن جماعة مدرساً بمصر في كفاية ورياسة).

درّس في المدرسة القيمرية، والعادلية الكبرى بين القصرين، والمدرسة الناصرية، والمشهد الحسيني، وجامع ابن طولون. كما ولي مشيخة الحديث بالكاملية.

---

(١) انظر/ الدرر الكامنة (٣/٣٦٧)، شذرات الذهب (٦/١٠٥)، طبقات الإسنوي (١/٣٨٦)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٤٨)، قضاة دمشق (٨٠/٨٢)، مرآة الجنان (٤/٢٨٧)، النجوم الزاهرة (٩/٢٩٨).

القضاء: من أهم الوظائف التي أُسندت إلى بدر الدين بن جماعة، وقد وفقه الله تعالى فيه فسار في القضاء سيرة حسنة.

وتولي بدر الدين بن جماعة قضاء القدس، وقضاء دمشق، ثم قاضي القضاة بالديار المصرية، ثم عاد إلى قضاء دمشق، ثم أُعيد إلى قضاء الديار المصرية.

شيوخه: أهم من أخذ عنهم من شيوخ العلم:

١- **والده:** وكان والده من علماء الحديث، وقد سمع بدر الدين بن جماعة الحديث على والده وروى عنه.

٢- **ابن عزون:** شيخ شيوخ حماة في الحديث.

٣- **شيخ الإسلام البلقيني:** أخذ عنه بدر الدين بن جماعة العلم.

٤- **محمد جمال الدين بن مالك الإمام النحوي شيخ العربي:** قرأ بدر الدين بن جماعة النحو عليه، وكذلك المعاني والبيان.

٥- **ابن دقيق العيد:** وهو إمام أهل زمانه، الحافظ المتقن في الحديث وعلوم.

٦- **القاضي تقي الدين بن رزين:** أخذ عنه بدر الدين بن جماعة أكثر علومه بالقاهرة، وبخاصة في الفقه والتفسير.

٧- **ابن البخاري:** يذكر ابن الجوزي عنه أنه كان ذا تمكُّن واضطلاع بالقراءة ورواية الحروف.

٨- **ابن القسطلاني:** وهو الذي تولى مشيخة دار الحديث بمصر.

تلاميذه: ولده عبد العزيز، والذهبي، والسبكي، وابن كثير، وابن قيم الجوزية، وابن جابر المغربي.

وفاته: وفاة بدر الدين بن جماعة كانت في سنة ٧٣٣ هـ بالقاهرة.

مؤلفاته:

أولاً: في القرآن وعلومه:

١- التبيان لمبهمات القرآن.

٢- غرة التبيان لمن لم يُسمَّ في القرآن.

٣- الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة.

٤- المُقْتَنص في فوائد تكرار القصص.

٥- كشف المعاني في متشابه المثاني. وهو كتابنا.

ثانياً: في الحديث وعلومه:

٦- تراجم البخاري.

٧- الفوائد الغزيرة في أحاديث بريرة.

٨- المختصر الكبير في السيرة.

ثالثاً: في الفقه:

٩- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام.

١٠- تجنيد الأجناد في وجهات أهل الجهاد.

١١- كشف الغمَّة في أحكام الذمة.

١٢- مستند الأجناد في آلات الجهاد.

رابعاً: في النحو:

١٣- شرح كافية ابن الحاجب.

١٤- الضياء الكامل في شرح الشامل.

خامساً: في العقيدة:

١٥- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل.

سادساً: في الآداب والرقائق:

١٦- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

١٧- أنس المذاكرة فيما يُستحسن في المذاكرة.

سابعاً: متفرقات:

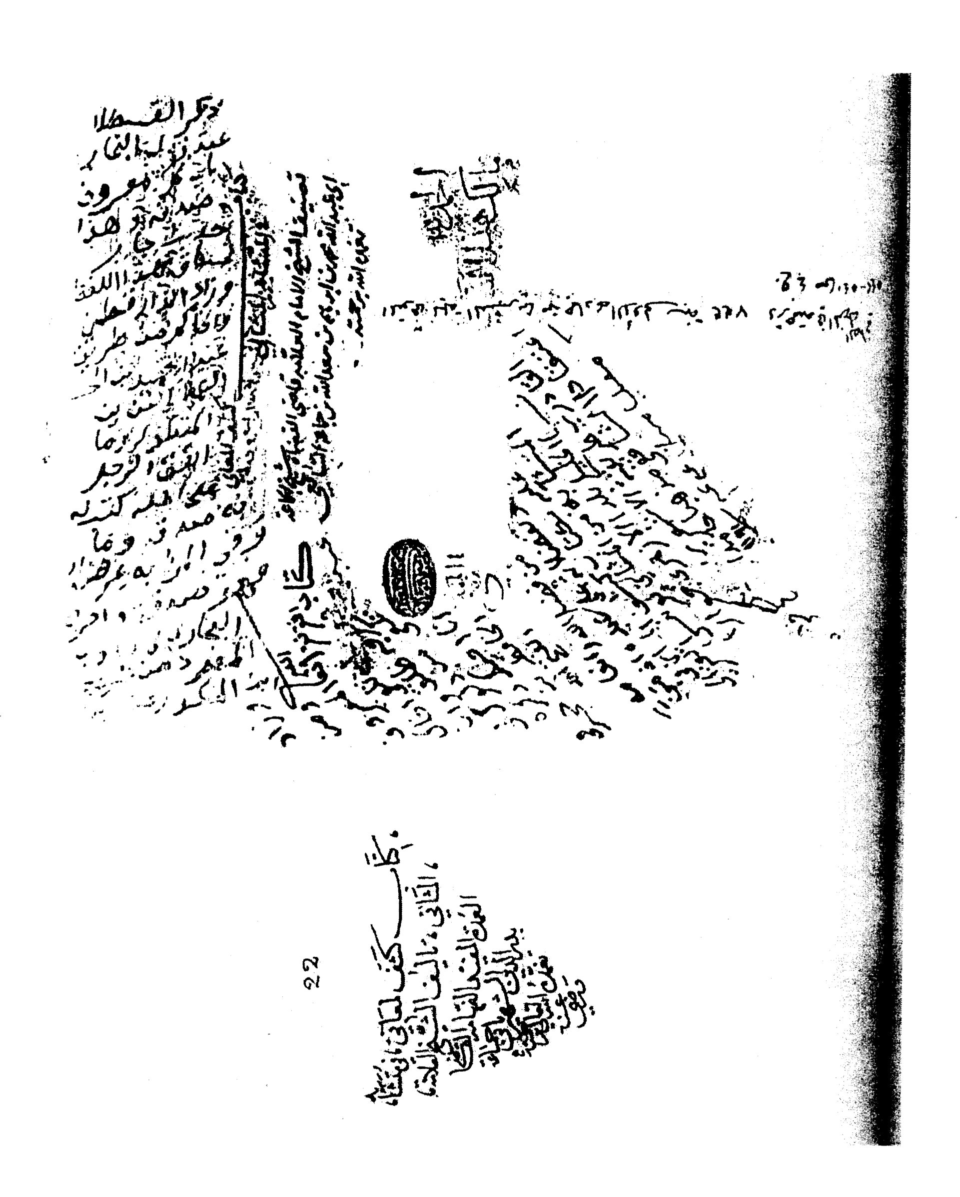
١٨- حجة السلوك في مهاداة الملوك.

١٩- رسالة في الإسطرلاب.

لقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة دار الكتب المصرية: بالمكتبة

التيمورية: (٢٥٥/ تفسير)، وهي تحمل رقم (٣١٨١٨ب)، ورقم الميكروفيلم الخاص بها هو (٣٨٣٨٨)، وتقع في ٥٢ لوحة.

صور من المخطوط



طرة النسخة الخطية

الصفحة الأولى من النسخة الخطية

الصفحة الثانية من النسخة الخطية



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. رَبّ يَسِّر وأَعْن.

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً ونوراً وشفاء للمؤمنين وموعظةً وتذكيراً. وبعث به سيدنا محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، أعجزت الفصحاءَ معارضته، وأعيت الألبّاءَ مناقضتُه، فلا يأتون بمثله أبداً ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

وصلى الله على سيدنا محمد المرسل سراجاً منيراً، وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فلما منَّ الله تعالى عليّ بالقرآن العزيز، وحفظه وتحصيله، والوقوف على ما قدّر من تفسيره وتأويله، واتفق إلقاء دروس التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثها من النفائس، رُبّما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألمت به في أسفارها المسطورة، من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروفٍ أغيار، فتُحَلّ تلك الأسئلة بما يفتح الله تعالى إما منقول أو غير منقول.

وقد استخرتُ الله تعالى في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه، باختصار لا غنىً لفهمه عنه، وسميتُه: ((كشف المعاني في متشابه المثاني)).

فصل

قد عُلم أن القرآن نزل بأفصح لغات العرب وكلامها، وتَضَمّن فنون أنواع فصاحتهم وأقسامها، توسيعاً لمجالهم في معارضة شيءٍ منه إن قدروا، وبياناً لعجزهم عن الإتيان بمثل ذُرَاه ولو تسوروا، فلذلك تنوعت موارده، وتشعَّبت

مقاصده، وعمت فوائده، وناسبت ألفاظه مواضعها، وصادفت فصاحته، وسأذكر - إن شاء الله تعالى - بعض ما يظهر به ما خفي من ذلك، سالكاً في إيراده أقرب المسالك، والله - تعالى - يوفق لطريق الصواب، عليه توكلت وإليه مآب.

[١] سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مسألة: إذا كان المراد بالبسملة الاستعانة به تعالى، فما فائدة إقحام الاسم بين الباء وبين لفظ الجلالة، مع أن الاستعانة به لا بنفس الاسم [١].

جوابه: أن القصد به التعظيم والإجلال لذاته تعالى ومنه ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى:١) و﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: من الآية٧٨).

مسألة: لم اختصت البسملة بهذه الأسماء الثلاثة؟

جوابه: أما الأول: فلأنه اسم المعبود المستحق للعبادة دون غيره، والمُوجِدُ لعباده، والثاني، والثالث: تنبيه على المقتضِي لسؤال الاستعانة به، وهو سعة رحمته لعباده.

مسألة: فما فائدة إعادتها ثانياً بعد الحمد؟

جوابه: التنبيه على الصفات المقتضية لحمده وشكره، وهي سعة رحمته تعالى ولطفه ورزقه وأنواع نعمه، فالأول: توكيد الاستعانة، والثاني: توكيد الشكر، وهذه الآية جمعت ما لم يجتمع في آية غيرها، وهو أنها مستقلة في الفاتحة عند من قال به [٢]، وهي بعض آية في النمل وربعها الأول بعض آية في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾

---

(١) الاسم (اللفظ المنطوق) والمسمى (حقيقة الشيء) من العلاقات التي استبحر القدماء والمحدثون في مناقشتها. وأخذت آراؤهم اتجاهين: الأول: هل الاسم هو المسمى؟ الثاني: هل الاسم غير المسمى؟ والله تعالى أعظم من كل الأشياء، لذا كانت الكلمة (الاسم) التي سُمِّيَ بها أشرف الكلمات وأعلى الأسماء قيمة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٧).

(العلق: من الآية١) ، ونصفها الأول بعض آية في هود ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ (هود: من الآية٤١)، وربعها الثالث بعض آية في الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن:١، ٢).

ونصفها الثاني في آية الفاتحة وبعض آية في البقرة ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: من الآية١٦٣).

مسألة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: من الآية١) ذكر المفسرون في إيراد الاسمين مع اتحاد المعنى فيهما معاني كثيرة مذكورة في كتب التفسير لم نُطل بها هنا. وأحسن ما يقال مما لم أقف عليه في تفسير: أن «فعلان» صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمه، والامتلاء منه، ولا يلزم منه الدوام لذلك، كغَضْبَان وسَكْرَان وَنَوْمَان، وصيغة «فَعِيل» لدوام الصفة ككريم وظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمةِ الدائمة.

ولذلك لما تفرد الرب سبحانه العظيم بعظم رحمته لم يُسَمّ بالرحمن - بالألف واللام - غيره.

مسألة: ما فائدة تقديم الرحمن على الرحيم؟

جوابه: لما كانت رحمته في الدنيا عامّةً للمؤمنين والكافرين، قدَّم الرحمن، وفي الآخرة دائمة أهل الجنة لا تنقطع، قيل الرحيم ثانياً؛ ولذلك يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

مسألة: ما فائدة العدول من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: من الآية٥)؟

جوابه: أن الخطاب للحاضر، والاستعانة به أقرب إلى حصول المطلوب من خطاب الغائب، والله أعلم.

مسألة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥) كُرِّرت ﴿إِيَّاكَ﴾ (الفاتحة: من الآية٥) المفيدة للحصر إذا تقدمت؛ للتصريح بتوكيد حصر الإخلاص في العبادة له،

وحصر الاستعانة أيضاً به تعالى.

مسألة: كرر لفظ ﴿الصِّرَاطَ﴾ (الفاتحة: من الآية٦) ثانياً لبيان وصف سالكية المنعم عليهم، فالأول: وصفه بالاستقامة، والثاني: بوصف سالكية من السفرة والصديقين.

ولما كان الطريق يقتضي الرفيق نبه تعالى عليه بقوله- تعالى-: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء: من الآية٦٩)، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ (الفاتحة: من الآية٧) تصريح بإضافة النعم إليه دون الغضب؛ فلذلك لم يقل: غير الذين غضبت عليهم، كما قال ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة:٧) ، وهو من باب الأدب من السائل في حال السؤال، ومنه: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ (آل عمران: من الآية٢٦) ولم يقل: والشر، ونبَّه على ضده بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: من الآية٢٦) .

[٢] سورة البقرة

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: من الآية٢) وقد أخبر الله - تعالى- بشك الكفار فيه، وريبهم في مواضع.

جوابه: أنه لظهور أدلته ظاهر عند من نظر فيه، لا ريب فيه عنده، وريبهم فيه لعدم نظرهم في أدلة صحته وفيه .

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: من الآية٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ﴾ (النمل: من الآية٦٥). وما لا يعلم كيف يُؤمَنُ به؟!.

جوابه: أن المراد: الغيب الذي دل البرهان على صحته ووقوعه، كالقيامة- مثلا- والجنة والنار.

مسألة: قوله تعالى: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢) الآية، وفي لقمان:

﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (لقمان:٣).

جوابه: لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب المتقين، ولما ذكر ثَمَّ الرحمة ناسب المحسنين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: من الآية٦) وفي يس: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (يس: من الآية١٠) بواو العطف.

جوابه: أنه هنا خبر جملة اسمية، وفي يس جملة مستقلة معطوفة على جُمَلٍ؛ فجاءت بواو العطف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ....﴾ (البقرة: من الآية٧) الآية، وكذلك في جميع القرآن قدَّم السمع على البصر، فما فائدته؟

جوابه: أن السمع أشرف؛ لأن به تَثْبُتُ النبوات، فَأخبارُ الله تعالى وأوامره ونواهيه وأدلته وصفاته تعالى بخلاف البصر؛ ولذلك لم يبعث الله نبياً أصم أصلاً، وفي الأنبياء من كان مكفوفاً.

مسألة: ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: من الآية٨) كرر العامل مع حرف العطف في الإثبات.

جوابه: أنه حكاية قول المنافق أنه أكد ذلك نفياً للتهمة عن نفسه، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية٨) وأكده بالباء.

مسألة: كيف طابق قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية٨) - وهو نفي الصفة قولهم: ﴿آمَنَّا﴾ (البقرة: من الآية٨) وطِبَاقُه: «وما آمنوا»؟

جوابه: أن الفعل المضارع مُؤْذِنٌ بالصفة في قول من يقول؛ فطابقه بنفي الصفة التي ادعوها بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية٨).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٦) ولم يقل:

خسرت، مع أن الخسران أبلغ في التوبيخ.

جوابه: أن هَمَّ المشتري للتجارة حصول الربح؛ وسلامة رأس المال؛ فبدأ بالأهم فيه وهو نفي الربح، ثم أتى بما يدل على الخسران بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة: من الآية١٦) فنفى ما هما المقصودان بالتجارة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ (البقرة: من الآية٢٠) ثم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (البقرة: من الآية١٧) ولم يقل: بضيائهم، مع ما فيه من بديع المطابقة.

جوابه: أن الضياء أبلغ من النور، ولم يلزم من ذهابه ذهاب النور، بخلاف عكسه، فذهاب النور أبلغ في نفي ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة: من الآية١٩) جمع الظلمات، وأفرد الرعد والبرق.

جوابه: أن المقتضي للرعد والبرق واحد وهو السحاب، والمقتضي للظلمة متعدد وهو الليل والسحاب والمطر، فجمع لذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٣) وفي يونس: ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (يونس: من الآية٣٨) وفي هود: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ (هود: من الآية١٣).

جوابه: لما قال هنا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ (البقرة: من الآية ٢٣) أنه من عند الله فأتوا بسورة من أُمِّي مثله لا يكتب ولا يقرأ، وفي يونس لما قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا ﴾ (يونس: من الآية٣٨) أنتم ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (يونس: الآية٣٨)، أي: فأنتم الفصحاء البلغاء، فأتوا بسورة مثل القرآن في بلاغته وفصاحته، واقرءوا مثله، وبذلك عُلِم الجواب في هود.

مسألة: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٩) وفي النازعات: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات:٣٠).

ظاهر آية البقرة وحم السجدة تقدم خلق الأقوات، وظاهر النازعات تأخره.

جوابه: أن ﴿ثُمَّ﴾ (البقرة: من الآية٢٩) هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الأخبار ترتيب الوقوع، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ (الأنعام: من الآيتين ١٥٣، ١٥٤) ، ولا ريب في تقدم إيتاء موسى الكتاب على وصيته لهذه الأمة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٣٤) فجاء مجملاً، وفي بقية السور مفصلاً.

جوابه: لما تقدم التفصيل في السُّور المكِّية أجمله في السورة المدنية وهو البقرة؛ اكتفاءً بما تقدم علمه من التفصيل في المكِّيَّات.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: من الآية ٣٥) وفي الأعراف ﴿فَكُلا﴾ (الأعراف: من الآية١٩)؛ بالفاء.

جوابه: قيل إن السُّكنى في البقرة للإقامة، وفي الأعراف اتخاذ المسكن، فلما نسب القول إليه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ (البقرة: من الآية٣٥) ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل؛ ولذلك قال فيه: ﴿رَغَداً﴾ (البقرة: من الآية٣٥)، وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: من الآية٣٥) لأنه أعم، وفي الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ﴾ (الأعراف: من الآية١٩) فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها؛ لأن الأكل بعد اتخاذ، و﴿مِنْ حَيْثُ﴾ (الأعراف: من الآية

١٩) لا يعطى عموم معنى ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (الأعراف: من الآية١٩).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ (البقرة: من الآية٣٨) وفي طه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ (طه: من الآية١٢٣).

جوابه: يحتمل- والله أعلم- أن ((فعل)) لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و((افتعل)) يُشْعرُ بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم هنا لفعله فجيء بمن تبع هُدايَ، وفي طه جاء بعد قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه: من الآية١١٥)، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: من الآية١٢١) آدم؛ فناسب ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: جَدَّدَ قصد الاتّباع.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة: من الآية٤١) الخطاب ليهود المدينة، وقد قال تعالى لأهل مكة قبلهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (الكافرون:١) .

جوابه: أن يكون ضمير ﴿بِهِ﴾ (البقرة: من الآية٤١) راجعاً إلى ما معكم؛ لأنهم كانوا يعلمون من كتابهم صفته، وهم أول يهود خوطبوا بالإسلام، وأول كافر به من أهل الكتاب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (البقرة: من الآية٤١) ما فائدة ﴿قَلِيلاً﴾ (البقرة: من الآية٤١) والكثير كذلك؟

جوابه: فيه مزيد الشناعة عليهم؛ لأن من يشتري الخسيس بالنفيس لا معرفة له ولا نظر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (البقرة: من الآية٤٨) وقال بعد ذلك: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا

عَدْلٌ﴾ (البقرة: من الآية١٢٣) ما فائدة التقديم والتأخير، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى؟

جوابه: أن الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ (البقرة: من الآية١٢٣) راجع في الأولى إلى النفس الأولى، وفي الثانية راجع إلى النفس الثانية، كأنه بيَّن في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تُقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل، ولأن الشافع يُقدِّم الشفاعة على بذل العدل عنها، وبيَّن في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقدم بدل العدل الحاجة إلى الشفاعة عند رده؛ فلذلك كله قال في الأولى: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: من الآية٤٨) وفي الثانية: ﴿وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: من الآية١٢٣) لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ﴾ (البقرة: من الآية٤٩) وفي إبراهيم: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ (إبراهيم: من الآية٦) بالواو، وفي الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤١).

جوابه: أنه جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ (البقرة: من الآية٤٩) هنا بدلاً من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٤٩)، وخص الذبح بالذكر لعظم وقعه عند الأبوين؛ ولأنه أشد على النفوس، وفي سورة إبراهيم تقدَّم قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم: من الآية٥)؛ فناسب العطف على سوم العذاب للدلالة على أنه نوع آخر، كأنه قال: يعذبونكم ويذبحون.

ففيه يعَدّد أنواع النعم التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية ٥)، وقد يقال: آية البقرة والأعراف من كلام الله تعالى لهم فلم يعدد المحن، وآية إبراهيم من كلام موسى فعددها، وقوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤١)

هو من تنويع الألفاظ، ويحتمل أنه لما تعدَّد هنا ذِكرُ النعم أبدل «يذبحون» من «يسومون»، وفي إبراهيم عطفه ليحصل نوع من تعدد النعم ليناسب قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٢٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨) وفي الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٦١).

جوابه: عن اختلاف ألفاظ الآيتين وفائدة مناسبتهما مع قصد التنويع في الخطاب، أما آية البقرة فلما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٤٠)؛ ناسب ذلك نسبة القول إليه، وناسب قوله: ﴿رَغَداً﴾ (البقرة: من الآية٥٨) لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ (البقرة: من الآية٥٨) وناسب ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٥٨) لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية٥٨)؛ لدلالتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا﴾ (البقرة: من الآية٥٨)؛ لأن الأكل مترتب على الدخول؛ فناسب مجيئه بالواو، وأما آية الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: من الآية١٣٨)؛ فناسب ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ (الأعراف: من الآية ١٦١) وناسب ترك رغداً والسكنى لجامع الأكل فقال: ﴿ وَكُلُوا﴾ (الأعراف: من الآية١٦١) وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾ (الأعراف:

من الآية١٦١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (البقرة: من الآية٥٩) وفي الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٢) وقال ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٢) وقال هنا: ﴿يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: من الآية٥٩) وفي الأعراف: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: من الآية٦٠).

جوابه: لما سبق في الأعراف تبعيض الهادين بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٩)؛ ناسب تبعيض الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٢) ولم يتقدم مثله في البقرة، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٢) ليس تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا؛ لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشدُّ وقعاً من الإنزال؛ فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة، وختم آية البقرة بـ﴿يَفْسُقُونَ﴾ ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق؛ فناسب كل لفظ منهم سياقه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (البقرة: من الآية٦٠) ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٠).

جوابه: قيل: إن الانبجاس دون الانفجار، وإن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فعلى هذا إن سياق ذكر نعمته اقتضى ذكر الانفجار وناسبه، وقيل: هما بمعنى واحد فيكون من تنويع الألفاظ والفصاحة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة: من الآية٦١) وقد قال

تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: من الآية٥١).

جوابه: في سورة غافر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة: من الآية٦١) وقال في آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران: من الآية٢١) فعرَّف هنا ونكَّر ذلك.

جوابه: أن آية البقرة نزلت في قدماء اليهود؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ (البقرة: من الآية٦١)، والمراد بغير الحق: الموجب للقتل عندهم.. بل قتلوهم ظلماً وعدواناً، وآيات آل عمران في المجودين زمن النبي ﷺ؛ بدليل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية٢١)، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ...﴾ (آل عمران: من الآية٢١) وبدليل قوله تعالى في الثانية: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذىً...﴾ (آل عمران: من الآية١١١) الآية؛ لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ؛ ولذلك سموه، ولكن الله – تعالى – عصمه منهم، فجاء منكَّراً ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران: من الآية٢١) بمعنى قوله: ظلماً وعدواناً، وهذا هو جواب من قال ما فائدة قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة: من الآية٦١) أو ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران: من الآية٢١). والأنبياء لا يُقْتَلنَّ إلا بغير حق.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ (البقرة: من الآية٦٢) وفي المائدة والحج: ﴿وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ (المائدة: من الآية ٦٩) قدم النصارى في البقرة وأخَّرهم في المائدة والحج.

جوابه: أن التقديم قد يكون بالفضل والشرف، وقد يكون بالزمان، فروُعِيَ في البقرة تقديم الشرف بالكتاب؛ لأن الصابئة لا كتاب لهم مشهور، ولذلك قدَّم الذين

هادوا في جميع الآيات، وإن كان الصابئة متقدمة في الزمان، وأخَّر النصارى في بعضها؛ لأن اليهود موحِّدون والنصارى مشركون؛ ولذلك قَرَنَ النصارى في الحج بالمجوس والمشركين؛ فأخَّرهم لإشراكهم بمن بعدهم في الشرك، وقُدِّمت الصابئون عليهم في بعض الآيات لتقدم زمانهم عليهم، وقول بعض الفقهاء: إن الصابئة فرقة من النصارى باطلٌ لا أصل له.

مسألة: ثم قال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية٦٢).

جوابه: المراد: من استمر على إيمانه، أو من أظهر منهم الإيمان ولم يعمل به، والمراد بـ﴿مَنْ آمَنَ﴾ (البقرة: من الآية٦٢): من عمل بتكميل إيمانه ومات عليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: من الآية٣٨) ما فائدة ﴿هُمْ﴾ (البقرة: من الآية٣٨)؟

جوابه: فائدته أن العطف على الجملة الاسمية بالاسمية أفصح وأنسب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ (البقرة: من الآية٧٢) بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة: من الآية٦٧) والأمر بذبحها بعد القتل، فما فائدة تقديم الذبح في الذكر؟

جوابه: أن آيات البقرة سِيقت لبيان النعم، كما تقدم، فناسب تَقَدُّم ذكر النعمة على ذكر الذنب.

مسألة: الرب تعالى قادر على إحياء الميت دون الضرب ببعض البقرة، فما فائدة الأمر بذبحها لذلك؟

جوابه: ترتيب الأشياء على أسبابها لما اقتضته الحكمة القديمة، ولجبر اليتيم صاحب البقرة بما حصل له من ثمنها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: من الآية ٨٠). وفي آل عمران: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران: من الآية٢٤) و((معدودة)) جمع

كثرة، و((معدودات)) جمع قلة.

جوابه: أن قائلي ذلك من اليهود فرقتان: إحداهما قالت: إنما نُعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا، وقالت فرقة: إنما نُعذب أربعين يوماً، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران الفرقة الأولى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾ (البقرة: من الآية٩٥) وفي الجمعة: ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً﴾ (الجمعة: من الآية٧).

جوابه: لما كانت دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة أكد نفي ذلك بـ((لن))؛ لأنها أبلغ في النفي من ((لا))؛ لظهورها في الاستغراق، وفي الجمعة ادَّعَوْا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته، فأتى بـ((لا)) النافية للولاية، وكلاهما مؤكد بالتأبيد، لكن في البقرة أبلغ، وأيضاً إن آية البقرة وردت بعد ما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء؛ فناسب حرف المبالغة في النفي لتمنيهم الموت لما يعلمون ما لهم بعده من العذاب؛ لأن ((لن)) أبلغ في النفي عند كثير من أئمة العربية، وآية الجمعة لم يتقدمها ذلك؛ فجاءت بـ((لا)) الدالة على مطلق النفي من غير مبالغة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ (البقرة: من الآية١٢٠) وفي آل عمران: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية٧٣).

جوابه: أن المراد بالهدى في البقرة تحويل القبلة؛ لأن الآية نزلت فيه، والمراد بالهدى في آل عمران الدين؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية٧٣) ومعناه أن دين الله الإسلام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (البقرة: من الآية١٢٠) وقال في القبلة: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٥) ، وفي الرعد: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (الرعد: من الآية٣٧) بغير من.

جوابه: أن ((الذي)) أبلغ من ((ما)) في باب الوصول في الاستغراق. فلما تضمنت الآية الأولى اتباع عموم أهوائهم في كل ما كانوا عليه بدليل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى

عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٢٠) ناسب لفظ ((الذي)) التي هي أبلغ في بابها من ((ما)) والآيتان الآخرتان في باب: بعض، معروف. أما آية البقرة ففي إتباعهم في القبلة، وأما آية الرعد ففي البعض الذي أنكروه، لتقدم قوله: ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ (الرعد: من الآية٣٦) ، أي لئن اتبعت أهواءهم في بعض الذي أنكروه، ودخلت ((من)) في آية القبلة؛ لأنه في أمر مؤقت معين وهو الصلاة التي نزلت الآية فيها، أي من بعد نسخ القبلة؛ لأن ((من)) لابتداء الغاية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً﴾ (البقرة: من الآية١٢٦) وفي إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾ (إبراهيم: من الآية٣٥).

جوابه: أن آية البقرة دعا بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وسُكْنى جُرْهمٍ[1] فيها، وآية إبراهيم بعد عودته إليها وبنائها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٢٩) وقال في آل عمران والتوبة: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٦٤) ، و﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٢٨).

جوابه: أن آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم، وفي آل عمران والتوبة في سياق المنة عليهم والرحمة والإشفاق منه عليهم؛ فناسب ذكر: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٢٨) لمزيد الحنو والمنة، وكذلك: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية١٢٨).

مسألة: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ (البقرة: من الآية١٣٤) كررها مع قرب العهد بالأولى، فما فائدة ذلك؟

جوابه: أن الأولى وردت تقريراً لإثبات ما نفوه من دين الإسلام الذي وصى به

---

(١) جُرْهم: بطن من القحطانية، كانت منازلهم أولاً اليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز، فنزلوه، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها.

إبراهيم ويعقوب، ومعناه أن أولئك أدَّوا ما عليهم من التبليغ والوصية فلهم أجر ذلك، ولكم من الوِزْرِ والإثْمِ بما خالفتموهم ما يعود عليكم وباله، وأما الثانية فوردت نفياً لما ادعوه من أن إبراهيم ومن ذكر بعده كانوا هوداً أو نصارى، ومعناه أن أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام، وعليكم إثم مخالفتهم وما افتريتم عليهم من التهود والتنصر الذين هم براء منه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ (البقرة: من الآية ١٣٦) وفي آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ (آل عمران: من الآية٨٤) .

جوابه: لما صدّر آية البقرة بقوله: ﴿قُولُوا﴾ (البقرة: من الآية١٣٦) وهو خطاب للمسلمين؛ ردّاً على قول أهل الكتاب: ﴿كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: الآية ١٣٥) قال: ﴿إِلَيْنَا﴾ (البقرة: من الآية١٣٦)، ولما صدّر آية آل عمران بقوله: ﴿قُلْ﴾ (آل عمران: من الآية٨٤)، قال: ﴿عَلَيْنَا﴾ (آل عمران: من الآية٨٤)، والفرق بينهما أن ((إلى)) ينتهي بها من كل جهة، و((على)) لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهو العُلُوّ، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة، يأتي مُبَلِّغه إياهم منها، وإنما أتى النبي ﷺ من جهة العلو خاصة فحسن وناسب قوله ﴿عَلَيْنَا﴾ لقوله: ﴿قُلْ﴾ (آل عمران: من الآية٨٤) مع فضل تنويع الخطاب، وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي ﷺ بـ((على))، وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ((إلى)).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ (البقرة: من الآية١٣٦) وفي آل عمران: ﴿النَّبِيُّونَ﴾ (آل عمران: من الآية٨٤).

جوابه: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران: من الآية٨١) فأغنى عن إعادة بإيتائهم ثانياً، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرَّح فيه بإيتائهم ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٤) كرر ذلك، فما فائدته؟

جوابه: أن الأول: إعلام بنسخ استقبال بيت المقدس له ولأمته، والثانية: لبيان

السبب وهو اتباع الحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ﴾ (البقرة: من الآية١٤٩) توكيدٌ لذلك، والثالثة: إعلام بالعلة وهو أن لا يكون للناس عليكم حجة، ولعموم الحكم في سائر الناس والأقطار والجهات، وسائر الأزمنة، لاحتمال تخيل أن ذلك مخصوص بجهة المدينة وما والاها وهي جهة الجنوب، أو أنه خاص بمن يشاهد الكعبة، أو قصد بتَكْراره مزيد التوكيد في استقبال الكعبة والتمسك به؛ لأن النسخ في مظانٍّ تطرق الشبهة والبَداء على ضعفاء النظر، كما قالوا: ﴿مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (البقرة: من الآية١٤٢)؛ فلذلك بالغ في التأكيد بتكرار الأمر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (البقرة: من الآية١٧٠) وقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾ (البقرة: من الآية١٧٠) وقال في المائدة: ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (المائدة: من الآية١٠٤) وقال: ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ (المائدة: من الآية ١٠٤).

جوابه: أما ﴿أَلْفَيْنَا﴾ (البقرة: من الآية١٧٠) و﴿وَجَدْنَا﴾ (المائدة: من الآية١٠٤) فمعناهما واحد، واختلاف لفظهما للتَّفَنُّن في الفصاحة والإعجاز، وأما ﴿يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: من الآية١٧٠) هنا؛ فلأن سياقه في اتخاذهم الأصنام والأنداد وعبادتها من دون الله ومحبتها، والعقل الصحيح يأبى ذلك عند نظره، وأما ﴿يَعْلَمُونَ﴾ (المائدة: من الآية١٠٤) فجاءت في سياق التحريم والتحليل بعد ما افتتح الكلام بقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٨٧)، وفي اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، والتحليل والتحريم من باب العلم والنقل، وأيضاً فلما ختم الآية قبله في المائدة بقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: من الآية ١٠٣)؛ ختم هذه الآية بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ (المائدة: من الآية١٠٤) ، وكان الجمع بين العقل والعلم عنهم أبلغ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية١٧٣) وفي المائدة والأنعام والنحل: ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (المائدة: من الآية٣).

جوابه: أن آية البقرة وردت في سياق المأكول وحِلِّه وحرمته؛ فكان تقديم

ضميره وتعلُّق الفعل به أهم، وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره والأمر بتقواه، وكذلك آية النحل بعد قوله: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ (النحل: من الآية١١٤)، وكان تقديم اسمه أهم، وأيضاً فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة؛ فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم؛ لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم، والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية١٧٣) وكذلك في المائدة والنحل، وفي الأنعام: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٥).

جوابه: لما صدَّر آية الأنعام بقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٥) ناسب قوله: ﴿قُلْ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٥)، و﴿إِلَيَّ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٥)، و﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٥). وبقية الآيات المذكورات خطاب من الله تعالى للناس؛ فناسب: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية١٩٢)، أي فإن الله المرخص لكم في ذلك.

فإن قيل: فلِمَ لم يقل: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾ (النحل: من الآية٤٧)؟ قلنا: لأن إيراده في خطاب النبي ﷺ لا يوهم غيره، لاسيما والخطاب عام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (البقرة: من الآية١٧٤) الآية، وفي آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ...﴾ (آل عمران: من الآية٧٧) الآية، فوعد في البقرة بأكل النار وفي آل عمران بأنه لا خَلاقَ لهم أي: لا حَظَّ ولا نصيب.

جوابه: أن الذنب في البقرة أكبر فكان الوعيد أشد؛ لأن كتمانهم إضلال غيرهم مع كفرهم في أنفسهم، وآية آل عمران لا يتضمن ظاهر لفظها ذلك؛ لظهور اللفظ في معنى تأثير ليس كَعَدَمِهِ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: من الآية١٨٧) وقال

فيها بعد ذلك: ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: من الآية٢٢٩).

جوابه: أن الحدود في الأولى هي عبارة عن نفس المحرمات في الصيام والاعتكاف من الأكل والشرب والوطء والمباشرة؛ فناسب: ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: من الآية١٨٧)، والحدود في الثانية أوامر في أحكام الحلِّ والحرمة في نكاح المشركات وأحكام الطلاق والعدة والإيلاء والرجعة وحَصْرِ الطلاق في الثلاث والخلع؛ فناسب: ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: من الآية٢٢٩) أي: لا تعتدوا أحكام الله تعالى إلى غيرها مما لم يشرعه لكم، فقفوا عندها؛ ولذلك قال بعده: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: من الآية١٩٣) وقال تعالى في الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩).

جوابه: أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سريَّةِ عبد الله بن جحش[١] لعمرو بن الحضرمي[٢]، وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد وقعة بدر وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامَّة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يُعْبَد سواه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ...﴾ (البقرة: من الآية٢١٠) الآية، ومثله في الأنعام، ومعناه: ينتظرون. وإنما ينتظر الإنسان ما يعلم أو يظن وقوعه، ولم يكونوا كذلك.

---

(١) عبد الله بن جحش: هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي: صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. وهو صهر رسول الله ﷺ أخو زينب أم المؤمنين. قُتِل يومَ أُحدٍ شهيداً، فدُفِنَ هو وحمزة في قبر واحد. أسد الغابة (٩٠/٣).

(٢) عمرو بن عبيد الله الحضرمي: هو عمرو بن عبيد الله الحضرمي رأى النبي ﷺ، وقال البخاري: رأى النبي ﷺ ولا يصح حديثه. أسد الغابة في معرفة الصحابة (٧٤٩/٣).

جوابه: لما كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى؛ ولذلك جاء تهديداً لهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٢) وفي سورة الطلاق: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ (الطلاق: من الآية٢).

جوابه: حيث قال ذلك فالخطاب للنبي ﷺ وقُدِّم تشريفاً له، ثم عمَّمَ فقال: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٢)، وفي الطلاق، فالخطاب له ولأمته جميعاً، وقدم تشريفه بالنداء لقوله تعالى في أول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾ (الطلاق: من الآية١) الآية.

مسألة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢١٤) الآية، وفي آل عمران: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ (آل عمران: الآية١٤٢) الآية، وفي التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا...﴾ (التوبة: من الآية١٦) الآية.

جوابه: أن آية البقرة في الصبر على ما كان النبي ﷺ وأصحابه عليه من أذى الكفار وتسلية لهم عنه، وكذلك قال في الذين خلوا: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ (البقرة: من الآية٢١٤) ليكون الصحابة مثلهم في الصبر وانتظار الفرج، وآية آل عمران وردت في حق المجاهدين وما حصل لهم يوم أحد من القتل والجراحات والهزيمة، فوردت الآية تصبيراً لهم على ما نالهم ذلك اليوم مما ذكرناه، والآية الثالثة في التوبة وردت في الذين كانوا يجاهدون مع النبي ﷺ ويباطنون أقاربهم وأولياءهم من الكفار المعاندين لرسول الله ﷺ ولذلك قال: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (التوبة: من الآية١٦) وقال بعده: ﴿لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (التوبة: من الآية٢٣) الآية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٤). وقال في الآية الأخرى: ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٠).

جوابه: أن المراد بالآية الأولى ما شرعه الله تعالى من الأحكام؛ ولذلك عرَّفه بالألف واللام وبالإلصاق، و﴿فِيمَا فَعَلْنَ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٤) أي من التعرض للخُطَّاب بالمعروف، والمراد بالثانية: أفعالهن بأنفسهن من مباح مما يتخيَّرنه من تزيُّن للخُطَّاب وتزويج، أو قعود أو سفر أو غير ذلك مما لهن فعله، ولذلك نكَّره وجاء فيه بـ﴿مِنْ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣٦) وقال بعد ذلك: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤١).

جوابه: أن الآية الأولى في مُطَلَّقَة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء، لا تسمية، ولا دخول. وهو وإن أوجبه قوم فهو في الصورة مجرد إحسان؛ فناسب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٦)، والآية الثانية في المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين: النفقة، ونفقة الرجعية واجبة؛ فناسب: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٤١)، ورجح أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله: ﴿مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٠) والمراد به: النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ﴾ (البقرة: من الآية٢٤١) فظهر أنه النفقة في عدة الرجعية بخلاف المطلقة البائن بخلع، فإن الطلاق من جهتها، فكيف تُعطى المتعة التي شرعت جبراً للكسر بالطلاق وهي الراغبة فيه وباذلة المال فيه؟ فظهر أن المراد بالمتاع هنا: النفقة زمن العدة لا المتعة.وللعلماء في هاتين الآيتين اضطراب كثير، وما ذكرته أظهر، والله تعالى أعلم، لأنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقي حكم المطلقة الرجعية فَيُحمَلُ عليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٣)، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ (البقرة: من الآية٢٥٣) ما فائدة تكرار ذلك؟

جوابه: قيل: هو تأكيد للأول، تكذيباً لمن ينكر أن يكون ذلك بمشيئة الله – تعالى - والأحسن أن ﴿اقْتَتَلُوا﴾ (البقرة: من الآية٢٥٣) أولاً مجاز في الاختلاف؛ لأنه كان سبب اقتتالهم أطلق اسم المسبَّب على السبب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ (النساء: من الآية١٠) فمعناه: ولو شاء الله ما اختلفوا بعد أنبيائهم، لكن اختلفوا، ولو شاء الله بعد اختلافهم ما اقتتلوا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٦) الآية، وقال تعالى في براءة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة: من الآية٥) وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة: من الآية١٩٣) وآيات القتال كثيرة.

جوابه: من وجوه أحدها: لا إكراه قسراً من غير إقامة دليل، بل قد بيَّنَ الله سبحانه الدلالة على توحيده، وبَعثِ رسوله ﷺ لمن ينظر فيه. ويدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٦) وهذا قول المعتزلة [١].

والثاني: أنه منسوخ بآيات السيف، والثالث: أنه مخصوص بأهل الكتاب.

مسألة: قوله تعال: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٧) الآية، أفرد النور وجمع الظلمات، وذلك في مواضع.

جوابه: أن الكفر أنواع ومِلل مختلفة، ودين الحق واحد؛ فلذلك أفرده.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ (البقرة: من الآية٢٦١) الآية وقال في سورة الأنعام: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٠).

جوابه: أن هذه خاصة في النفقة في سبيل الله، وآية الأنعام في مطلق الحسنات

---

(١) المعتزلة: فرقة إسلامية أطلقت للعقل العنان في تأويل النصوص وردها. كما كان لهم جهد ملحوظ في الدفاع عن عقائد الإسلام ضد كيد أعدائه من الزنادقة واليهود والنصارى وغيرهم. الفصل في الملل والنحل (٥٠/١).

من الأعمال وتطوع الأموال.

مسألة: قوله تعالى:﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) وفي سورة إبراهيم: ﴿لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (إبراهيم: من الآية١٨).

جوابه: أن المثل هنا للعامل فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب؛ لأن ﴿عَلَى﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) من صلة القدرة، وآية إبراهيم المثل للعمل لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية١٨) تقديره مثل أعمال الذين كفروا؛ فكان تقديم ﴿مِمَّا﴾ أنسب؛ لأنه صلة ((شيء)) وهو الكسب.

مسألة: قوله تعالى في آية الربا: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٦)، وفي الآية الأولى من النساء: ﴿مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (النساء: من الآية٣٦)، وكذلك في الحديد، وفي الثانية: ﴿مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾ (النساء: من الآية ١٠٧) ما فائدة العدول عن قوله: يبغض، إلى قوله: لا يحب، مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض. وما فائدة تخصيص كل آية بما ذُكِرَ فيها؟

جوابه: أن البعض صفة مكروهة للنفوس فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى لفظاً، وأيضاً فلأن حال العبد مع الله تعالى إما طاعته أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تَعَيَّن ضدها، فعبر بما هو أحسن لفظاً، وأما ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٦) فإنها نزلت في ثقيف[١] وقريش[٢]، لما أصروا على الربا وعارضوا حكم الله تعالى بقولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾ (البقرة: من الآية٢٧٥) فهم كفار بالدين،

---

(١) ثقيف: قبيلة منازلها في جبل الحجاز بين مكة والطائف، وتنقسم إلى بطون كثيرة، منها: بطن النور، بطن عوف، بطن سفيان، بطن هذيل...، وغيرها معجم قبائل العرب (١/ ١٤٨).

(٢) قريش: قبيلة مشهورة، جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة قريش، ومنها نبي الله ورسوله سيدنا محمد ﷺ، وهي قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم، فقيل لهم قريش، وتنقسم إلى بطون كثيرة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٣٥٦).

آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه.

وأما آية النساء الأولى فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (النساء: من الآية ٣٦) وبعد قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (النساء: من الآية٣٦). والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما، وذلك ينافي الاختيال والعُجْبَ والتفاخر، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى...﴾ (النساء: من الآية٣٦) الآية وكذلك جاء في لقمان بعد قوله تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ (لقمان: من الآية١٨)، وفي الحديد بعد قوله تعالى: ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ (الحديد: من الآية٢٠)، وأما آية النساء الثانية فنزلت في طُعْمَةَ بن أُبَيرِقٍ[1] لما سرق درع قتادة بن النعمان[2] رضي الله عنه، وحلف عليه ورمى به اليهود ثم ارتد ولحق بمكة فناسب خوَّاناً، وأيضاً فلتقدم قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء: من الآية١٠٧).

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية٢٨١) ومثله في آل عمران، وقال في النحل والزمر: ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ (النحل: من الآية١١١).

جوابه: هو من باب التفنن في الألفاظ والفصاحة، وأيضاً لما تقدم في الزمر لفظ الكسب في مواضع ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ (الزمر: من الآية٤٨) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ (الزمر: من الآية٥١) فعدل إلى لفظ ((عملوا)) تركاً للتكرار، ولم يتقدم ذلك في البقرة وآل عمران، وأنه إشارة إلى أن الأعمال كسب العبد خيراً كان أو شراً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٤) الآية، قدم المغفرة، وفي المائدة قدم: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية٤٠).

---

(١) هو طُعمة بن أبيرق بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو الأنصاري. الإصابة (٢/٥١٨)، (٢/ ٤٥٧).

(٢) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري. يُكنَّى أبا عمرو (أسد الغابة ٨٨/٤).

جوابه: أن آية البقرة وغيرها جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة، وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته، وآية المائدة جاءت عقب ذكر السارق والسارقة؛ فناسب ذكر العذاب؛ لأنه لهم في الدنيا والآخرة.

[٣] سورة آل عمران

مسألة: قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: من الآية٣) وقال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: من الآية٣).

جوابه: أن القرآن نزل مُنَجَّماً مرة بعد مرة؛ فحسن التضعيف، والتوراة والإنجيل نزلا دفعةً؛ فحسن التخفيف لعدم التكرار.

فإن قيل: قد قال بعده: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: من الآية٤) وقال بعده: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: من الآية٧).

جوابه: أما الفرقان فقيل: هو نصره على أعدائه، وقيل: هو القرآن؛ فعلى هذا لما قال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ (آل عمران: من الآية٣) حسن ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: من الآية٤) ، و﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: من الآية٧)، أي كما أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى أنزل عليك القرآن والكتاب؛ ولأن التلوُّن في اللفظ مع قُربِ العهد أحسن من إعادته بلفظه وإن اتحد قَصْدهُ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: من الآية٩) وفي آخر السورة: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٤).

جوابه: أن الأول خبر من الله تعالى بتحقق البعث والقيامة، والثاني في سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أدعى إلى الحصول.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (آل عمران: من الآية١١) قال هنا: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران: من الآية ١١)، وفي أول الأنفال: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: من الآية٥٢)، وفي الثانية: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأنفال: من الآية٥٤).

جوابه: أما الكاف هنا فترجع إلى قوله: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (آل عمران: من الآية١٠)، كما لم تغن عن آل فرعون من العذاب، أو معناه: دأبهم كدأب آل فرعون، وفي الأنفال تتعلق بقوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٥٠) كدأب آل فرعون، والثانية فيها تعلق بقوله: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: من الآية٥٣) كدأب آل فرعون، والله تعالى أعلم. وأما قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران: من الآية١١) لتجانس ما تقدم، قيل: وهو قوله: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ (آل عمران: من الآية٩)، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: الآية٩)، جاء بالظاهر بعد المضمر، وأما آية الأنفال الأولى فلتناسب ما تقدمها من إبراز الظاهر في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: من الآية٤٩) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: من الآية٥١) فقال: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: من الآية٥٢) ، وأما الثانية فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: من الآية٥٣)، أي كذبوا بآيات من ربهم بنعمه عليهم التي لا تحصى، فلما ذكر نعمه التي ربُّوا بها؛ ناسب قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (الأنفال: من الآية٥٤) المنعم عليهم، وكرر ذلك في الأنفال مع قرب العهد للتنبيه على عقاب الآخرة في الآية الأولى، وعلى عقاب الدنيا في الآية الثانية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨) ، ما فائدة تكرير لفظ التوحيد؟

جوابه: أن الأول مشهود به، والثاني حكم بما تمّت به الشهادة، فالأول بمنزلة قيام البينة، والثاني بمنزلة الحكم بذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: من الآية٢٨) ما فائدة

تكراره؟

جوابه: أن الأول في سياق الوعيد لقوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ (آل عمران: من الآية٢٨)، والثاني في سياق حذر التفويت للخير؛ ولذلك خَصّه بقوله: ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: من الآية٣٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً﴾ (آل عمران: من الآية٣٣) ثم قال: ﴿وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ﴾ (آل عمران: من الآية٣٣).

جوابه: أن الأولين جميع الأنبياء، والرسل من نسلهم، وآل إبراهيم: إما نفسه أو من تبع ملته، وآل عمران: موسى وهارون، ولم يكن عمران نبياً [١].

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: من الآية٤٠) وفي مريم قدّم ذكر المرأة.

جوابه: لتناسب رؤوس الآي في مريم لقوله: ﴿عتيّاً﴾، و﴿عشيّاً﴾، و﴿خفياً﴾ وأيضاً لما قدمه أولاً بقوله: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ (مريم: من الآية٤) ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً﴾ (مريم: من الآية٨) أخّره ثانياً تفنناً في الفصاحة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ (آل عمران: من الآية٤٧) وفي مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ (مريم: من الآية٢٠).

جوابه: لتقدم قوله في مريم: ﴿لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ (مريم: من الآية١٩).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية ٤٩) وفي المائدة: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ (المائدة: من الآية١١٠) ذكّر هنا وأنّث في المائدة.

جوابه: أن آية آل عمران من كلام المسيح في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم تكن صورة بعد؛ فحسن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم

(١) المراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليهما السلام. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٨).

القيامة معدداً نعمه عليه بعدما مضت، وكان قد اتفق ذلك منه مرات؛ فحسن التأنيث لجماعة ما صوَّره من ذلك ونفخ فيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (آل عمران: من الآية٥١) وكذلك في مريم وفي الزخرف: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ (الزخرف: من الآية٦٤) بزيادة ((هو)).

جوابه: أن آية آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب تعالى وقدراته وعبودية المسيح له ما أغنى عن التأكيد، وفي الزخرف لم يتقدم مثل ذلك؛ فناسب توكيد انفراده بالربوبية وحده.

مسألة: قوله تعالى: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: من الآية٦٤) وفي المائدة: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: من الآية١١١).

جوابه: أن آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولاً، وفي سياق تعدد نعمه عليهم أولاً؛ فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولاً عند إيحائه إليهم، وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم، فاكتفى ثانياً بـ﴿أَنَّا﴾ لحصول المقصود به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: من الآية٥٥) ومثله في النحل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (النحل: من الآية١٢٤) الآية، وفي لقمان: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: من الآية١٥) وفيها: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ (لقمان: الآية٢٣) .

جوابه: لما تقدم في السورتين ذكر الاختلاف؛ ناسب ذكر الحكم، بخلاف سورة لقمان؛ لأنها عامة في الأعمال.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران: من الآية٦٠) وفي البقرة: ﴿فَلا تَكُونَنَّ﴾ (البقرة: من الآية١٤٧).

جوابه: أن آية البقرة تقدمها ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (البقرة: من الآية١٤٤)؛

فناسب: ﴿فَلا تَكُونَنَّ﴾ (البقرة: من الآية١٤٧)، ولم يتقدم هنا ما يقتضيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ (آل عمران: من الآية٩٩) وفي الأعراف: ﴿مَنْ آمَنَ به وتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ (الأعراف: من الآية ٨٦) بزيادة ((به)) وبالواو.

جوابه: أنَّ ((تصدون)) هنا حال، وإذا كان الفعل حالاً لم تدخله الواو. وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ (آل عمران: من الآية١٢٦) وفي الأنفال: ﴿إلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأنفال: من الآية١٠).

جوابه: أن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو قوله: ﴿لَكُمْ﴾ فختمت الجملة التي تليها وهو قوله: ﴿بِهِ﴾ لتناسب الجملتين، وآية الأنفال خلت الأولى من ذلك؛ فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول.

وجواب آخر: وهو أنه لما تقدم في سورة الأنفال: ﴿لَكُمْ﴾ في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٩) علم أن البشرى لهم، فأغنى الأول عن ثانٍ، ولم يتقدم في آل عمران مثله، وأما ﴿بِهِ﴾ فلأن المفعول قد تقدم على الفاعل لغرض صحيح من اعتناء أو اهتمام أو حاجة إليه في سياق الكلام، فقدّم ﴿بِهِ﴾ هنا اهتماماً، وجاء في آل عمران على الأصل.

وجواب آخر: وهو التفَنُّنُ في الكلام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: من الآية١٢٦) مُعَرَّفاً، وفي الأنفال: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: من الآية١٠) منوناً.

جوابه: أن آية الأنفال نزلت في قتال بدر أولاً، وأن آل عمران نزلت في وقعة أُحُدٍ ثانياً، فبين أولاً أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَدٍ أو عُدَدٍ، ولذلك علَّلهُ

بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامُكم أن النصر من عنده؛ فناسب التعريف بعد التنكير.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٦) وفي العنكبوت: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (العنكبوت: من الآية٥٨) بغير واو في ((نِعْمَ)).

جوابه: لما تقدم عطف الأوصاف المتقدمة وهى قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٨)، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٤)، ﴿وَالْكَاظِمِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٤)، ﴿وَالْعَافِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٤)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا﴾ (آل عمران: من الآية١٣٥)، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ (آل عمران: من الآية١٣٥)، و﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣٦)، و﴿جَنَّاتٌ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣٦)، و﴿خَالِدِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٦)؛ وناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم، ولم يتقدم مثله في العنكبوت، فجاءت بغير ((واو)) كأنه تمام الجملة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (آل عمران:١٨٤) ، وفي فاطر: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾ (فاطر: من الآية٢٥) بالباء في الثلاثة.

جوابه: أن آية آل عمران سياقها الاختصار والتخفيف، بدليل حذف الفاعل في ((كذب))، وورد الشرط ماضياً وأصله المستقبل؛ فحذف الجار تخفيفاً لمناسبة ما تقدم، وآية فاطر سياقها البسط بدليل فعل المضارع في الشرط وإظهار فاعل التكذيب، وفاعل ومفعول ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ (فاطر: من الآية٢٥)؛ فناسب البسط ذكر الجار في الثلاثة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٠)، وفي يونس: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ (يونس: من الآية٦) قدَّم هنا خلق

السماوات والأرض وأخَّر عنه في يونس.

جوابه: لما قال هنا: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٩) أتبعه بخلقها، ثم باختلاف الليل والنهار، وفي يونس لما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ (يونس: من الآية٥) إلى قوله: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: من الآية٥)، وإنما ذلك باختلافهما؛ ناسب ذلك إتباعه بذكر اختلاف الليل والنهار.

مسألة: قوله تعالى هنا: ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٧) بـ((ثم)) وفي غيره ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (التوبة: من الآية٧٣) بالواو.

جوابه: لما تقدم قوله تعالى: ﴿لا يغرنَّك تَقَلُّبُ الذين كفروا فِي الْبِلادِ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٦) و﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٧) والمراد: في الدنيا وجهنم إنما هي الآخرة؛ فناسب: ((ثم)) التي للتراخي، وآية الرعد عطف ((جهنم)) على ((سوء الحساب)) وهما جميعاً في الآخرة؛ فناسب العطف بالواو.

[٤] سورة النساء

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: من الآية١)، وفي الأعراف: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف: من الآية١٨٩).

جوابه: أن آية النساء في آدم وحواء- عليهما السلام -؛ لأنها خلقت منه، وآية الأعراف قيل: في قُصَيّ[١] أو غيره من المشركين، ولم تخلق زوجته منه، فقال: ﴿وَجَعَلَ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٩)؛ لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، فمعناه: جعل من جنسها زوجَها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ (النساء: من الآية٢٥)، وفي المائدة: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (النساء: من الآية٢٤).

(١) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم. طبقات ابن سعد (٣٦/١، ٤٢)، ابن هشام (٤٢/١).

جوابه: أن آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث بالإحصان، وآية المائدة في من يحل للرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان الرجال أيضاً تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ (النساء: من الآية٣٦) وفي البقرة: ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ (البقرة: من الآية٨٣) بغير باء.

جوابه: أن آية البقرة حكاية عما مضى من أخذ ميثاق بني إسرائيل، وآية النساء من أولها إلى هنا في ذكر الأقارب وأحكامهم في المواريث والوصايا والصلات، وهو مطلوب، فناسب التوكيد بالباء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (النساء: من الآية٤٣) الآية، وقال في المائدة: ﴿وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ (المائدة: من الآية٦).

جوابه: لما تقدم في المائدة تفصيل الوضوء وتفصيل واجباته؛ ناسب ذكر واجبات التيمم بقوله: ﴿مِنْهُ﴾ (المائدة: من الآية٦)، وأن إيصال بعضه بالبدن شرط، وآية النساء جاءت تبعاً للنهي عن قربان الصلاة مع شغل الذهن؛ فناسب حذفه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء: من الآية٤٨)، وقال في الآية الثانية: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء: من الآية ١١٦).

جوابه: أن الآية الأولى نزلت في اليهود وتحريفهم الكَلِمَ افتراءً على الله، وقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية٣٠)؛ فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم، والآية الثانية تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء: من الآية١١٣)؛ فناسب ختمها بذلك، ولأنها في العرب وعبَّاد الأصنام بغير كتاب وبعد ذكر طعمة بن أبيرق وارتداده، فَهُمْ في ضلال بعيد عن الحق والكتبِ المنزلة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ (النساء: من الآية٥٥)، وقال تعالى في التغابن: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (التغابن: من

الآية٢) قدَّم هنا المؤمن وأخَّره ثمة.

جوابه: أنه لما سمِّي إبراهيم وآله؛ ناسب تقديم مؤمن، بخلاف آية التغابن لعموم اللفظ فيه.

مسألة: قوله تعالى:﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً**﴾ إلى ﴿**تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ (النساء: من الآيتين ١٢٨، ١٢٩) الآيتين. قال في الأولى: ﴿**وَإِنْ تُحْسِنُوا**﴾ (النساء: من الآية١٢٨) وفي الثانية: ﴿**وَإِنْ تُصْلِحُوا**﴾ (النساء: من الآية١٢٩)، وختم الأولى: ﴿**بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ (النساء: من الآية١٢٨)، وختم الثانية بقوله: ﴿**غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (النساء: من الآية ١٢٩).

جوابه: أما الأول: فالمراد به أن يتصالحا على مال تبذله المرأة من مهر أو غيره ليطلِّقها؛ فإنه خير من دوام العشرة بالنشوز والإعراض، ثم عذر النساء بقوله تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ (النساء: من الآية١٢٨)، ثم قال: وإن تحسنوا معاشرتهن بترك النشوز والإعراض فإنه خبير بذلك فيجازيكم عليه، وعن الثاني: أن العَدْل بين النساء عزيز ولو حرصتم؛ لأن الميْل إلى بعضهن يتعلق بالقلب، وهو غير مملوك للإنسان، وإذا كان كذلك، فلا تميلوا كل الميل فتصير المرأة كالمعلَّقة التي لا مزوَّجة ولا مطلقة.

ثم قال: وإن تصلحوا معاشرتهن بقدر الإمكان وتقوموا بحقوقهن المقدور عليها؛ فإن الله تعالى يتجاوز عما تملكونه من الميل بمغفرته ورحمته.

مسألة: قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ (النساء: من الآيتين ١٣١، ١٣٢) ما فائدة تكرار ذلك عن قرب؟

جوابه: أن التكرار إذا كان لاقتضائه معاني مختلفة فهو حسن، وهنا كذلك؛ **لأن** الأولى بعد قوله تعالى: ﴿**يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ**﴾ (النساء: من الآية١٣٠) لأن له ما في السماوات وما في الأرض فهو قادر على ذلك؛ ولذلك ختم بقوله تعالى: ﴿**وَاسِعاً حَكِيماً**﴾ (النساء: من الآية١٣٠)والثانية بعد أمره بالتقوى، فبيَّن أن له ما في

السماوات وما في الأرض فهو أهل أن يُتقى؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ (النساء: من الآية١٣٣)

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: من الآية١٣٥)، وفي المائدة: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: من الآية٨).

جوابه: أن الآية هنا تقدَّمها نشوز الرجال وإعراضهم عن النساء، والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، والإحسان إليهن، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: من الآية١٢٩) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: من الآية١٢٧) وشِبْه ذلك؛ فناسب تقديم القسط وهو العدل، أي كونوا قوَّامين بالعدل بين الأزواج وغيرهن، واشهدوا لله لا لمراعاة نفس أو قرابة، وآية المائدة جاءت بعد أحكام تتعلق بالدين والوفاء بالعهود والمواثيق لقوله تعالى في أول السورة: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: من الآية١) إلى آخره، وقوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (المائدة: من الآية ٧) الآية، وما تضمنته الآيات قبلها من أمر ونهي؛ فناسب تقديم ﴿لله﴾ أي: كونوا قوَّامين بما أُمرتم أو نُهيتم لله، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (النساء: من الآية١٤٩) وفي الأحزاب: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (الأحزاب: من الآية٥٤).

جوابه: أن ذكر الخير هنا لمقابلة ذكر السوء في قوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ (النساء: من الآية١٤٨) عند الجهر به إلا من المظلوم بدعاء أو استنصار، ثم نبه على ترك الجهر من المظلوم إما بعدم المؤاخذة أو العفو، وآية الأحزاب في سياق علم الله تعالى بما في القلوب لتقدّم قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الأحزاب: من الآية٥١) ؛ ولذلك قال: ﴿شَيْئاً﴾ (الأحزاب: من الآية ٥٤) لأنه أعم من الخاص، والمراد: إن تبدوا في أمر نساء النبي ﷺ شيئاً أو تخفوه؛ تخويفاً لهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ

وَأَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ﴾ (النساء: من الآية١٦٣) الآية، وفي الأنعام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ (الأنعام: من الآية٨٤) الآيات. رتبهم هنا غير ترتيبهم في الأنعام.

جوابه: أن آية النساء نزلت ردّاً إلى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً﴾ (النساء: من الآية١٥٣)، وردّاً على قول المشركين: ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَأُهُ﴾ (الإسراء: من الآية٩٣) فبين هنا أنه ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتاباً بل بعضهم بوحي، وبعضهم بكتب، وبعضهم بصحف؛ فقدم نوحاً لعدم كتاب نزل عليه مع نبوته، وأجمل النبيين من بعده، ثم فصَّلهم فقدَّم إبراهيم لإنزال صحفه وتلاه بمن لا كتاب له، ثم قدَّم عيسى للإنجيل ثم تلاه بمن لا كتاب له وهم أيوب ومن بعده، ثم قدَّم داود وزبوره، وتلاه بمن لا كتاب له ممن قصَّهم أو لم يقصهم، ثم ذكر موسى لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب ولا بد، بل خصَّ بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات: إما بتكليم، وإسراء أو إنزال كتاب أو صحيفة أو وحي على ما يشاء فناسب هذا الترتيب ما تقدم أما آيات الأنعام فساقها في سياق نعمه على إبراهيم ومن ذكره من ذريته، ففرق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما؛ فداود وسليمان بالملك والنبوة، وأيوب ويوسف بنجاتهم من الابتلاء؛ ذاك بالمرض، وهذا بالسجن، وموسى وهارون بالأخوَّة والنبوة، وزكريا ويحيى بالشهادة، وعيسى وإلياس بالسياحة، وإسماعيل واليسع بصدق الوعد، ويونس ولوط بخروج كل واحد منهما من قرية من بُعث إليه، ونجاة يونس من الحوت، ولوط من هلاك قومه. والله اعلم.

[٥] سورة المائدة

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ (المائدة: من الآية٨).

تقدم قريباً في النساء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٩) ، وقال في الفتح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح: من الآية٢٩)، وقال هنا: ﴿لهم﴾ وفي الفتح: ﴿مِنْهُمْ﴾.

جوابه: أن آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم بأعيانهم، وآية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صَحِبَه منافقون، فقال: ﴿مِنْهُمْ﴾ (الفتح: من الآية٢٩) تمييزاً وتفضيلاً ونصاً عليهم بعدما ذكر من جميل صفاتهم، وأيضاً آية المائدة بعد ما قدَّم خطاب المؤمنين مطلقاً بأحكام، فكأنه قال: من عمل بما ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم، فهو عام غير خاص بمعيَّنين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: من الآية٤٦) وقال بعد ذلك: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: من الآية٤١).

جوابه: أن الأولى هنا وآية النساء ربما أُريد بها التحريف الأول عند نزول التوراة، ونحو تحريفهم في قولهم موضع ﴿حِطَّةٌ﴾ (البقرة: من الآية٥٨): حنطة، وشبه ذلك فجاءت ﴿عَنْ﴾ لذلك، والآية الثانية تحريفهم في زمن النبي ﷺ وتغييرهم عن المقول لهم في التوراة بغير معناه، كأنه قال: من بعد ما عملوا به واعتقدوا وتديَّنوا به، كآية الرجم ونحوها، فـ ﴿عَنْ﴾ لما قرب من الأمر، و ﴿بَعْدِ﴾ لما بَعُدَ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ﴾ (المائدة: من الآية١٧)، وقال في الفتح ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ (الفتح: من الآية١١) بزيادة ﴿لَكُمْ﴾.

جوابه: أن هذه الآية عامة في المسيح وأمِّه ومن في الأرض جميعاً، فليس هنا

مخاطبٌ خاصٌ، وآية الفتح في قوم مخصوصين وهم الأعراب الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في عُمْرة الحديبية [1]، فصرَّح لذلك بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ (الفتح: من الآية١١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية١٧) وبعده: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (المائدة: من الآية١٨) ما فائدة تكراره مع قربه؟

جوابه: أن لكل آية منها فائدة؛ أما الأولى: فردٌّ على قولهم في المسيح أنه الإله؛ فبيَّن أن الألوهية لمن له ملك السماوات والأرض، وليس للمسيح ذلك، فكيف يكون إلهاً، والله هو خالقه، والقادر على إهلاكه ولذلك قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية١٧) إشارة إلى خلق المسيح، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: من الآية١٧) إشارة على قدرته على إهلاكه وأمه، وأما الآية الثانية فرد على قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ (المائدة: من الآية١٨) فهو توكيد لقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية١٨) لأنهم خلقه وملكه؛ ولذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: من الآية١٨) فيجازي كلاً على عمله إما بمغفرة ورحمة أو بعذاب، ولو كنتم كما تقولون لما عذبكم؛ لأن المحبَّ لا يعذب محبوبه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٢٠)، وفي إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا﴾ (إبراهيم: من الآية٦) بغير نداء.

جوابه: أن الخطاب بحرف النداء أو اسم المنادي أبغ وأخصُّ في التنبيه على

---

(١) تهذيب السيرة لابن هشام (٢٦٦).

المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادي وتخصيصه بما يريد أن يقول له، فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك، وإيتاء ما لم يؤت أحداً من العالمين وهو المنُّ والسلوى، وهم ملتبسون به حالة النداء؛ حقَّ لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضاً قال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ (المائدة: من الآية٢١)، لأن ذلك من أعظم النعم عليهم؛ فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم بذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قِبَل فرعون، وكان ذلك مما مضى زمانه، لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ (المائدة: من الآية٢٩) كيف يبوء بإثمه وقد قال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: من الآية١٦٤).

جوابه: بإثم قتلي وإثم معاصيك في نفسك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة:٣٨) وقال في النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ (النور: من الآية٢) قدَّم الرجال في المائدة وأخَّر في النور.

جوابه: أن قوة الرجال وجرأتهم وإقدامهم على السرقة أشد فَقُدِّموا فيها، وشهوة النساء وابتداء الزنا من المرأة لتزينها وتمكينها حتى يقع الرجل بها، يناسبان تقديم النساء في سياق الزنا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: من الآية٤٤)، وختم الأخرى بقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: من الآية٤٥)، وفي الثالثة : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٤٧).

جوابه: أن المراد بالثلاثة: اليهود، وهم ((كافرون)) ، وزادهم في الثانية ((الظلم)) لعدم إعطائهم القصاص لصاحبه، وفي الثالثة: ((الفسق)) لتعدِّيهم حكم الله تعالى، وأن المراد بالثالثة أنّ من ترك حكم الله تعالى عمداً مع اعتقاده الإيمان وأحكامه فهو فاسق.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ (المائدة: من الآية٤٤) وجميع الأنبياء مسلمون، ما فائدة الصفة وهي معلومة؟

جوابه: الرد على الذين قالوا: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى فأكذبهم [الله] بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ (المائدة: من الآية٤٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾ (المائدة: من الآية٧٦) قدَّم الضر على النفع هنا، وفي مواضع أُخَر[1] قدَّم النفع على الضر كما في سورة الأنعام والأنبياء.

جوابه: أن دفع الضر أهم من جلب النفع وإن كانا مقصودين؛ ولأنه يتضمنه أيضاً، فإذا تقدم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضر أهم، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم؛ لأنه المقصود غالباً بالسؤال؛ ولذلك قال في الحج: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ (الحج: من الآية١٣) أي يدعو بالنفع لمن ضره أقرب من نفعه المطلوب بالدعاء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا﴾ (المائدة: من الآية١٠٩) وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ

---

(١) المواضع التى تقدم فيها النفع على الضر، هي: يونس (١٠٦)، الأنبياء (٦٦)، الأنعام (٧١)، الفرقان (٥٥)، الشعراء (٧٣)، الأعراف (١٨٨)، الرعد (١٦)، سبأ (٤٢).

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٢٥) والأنبياء أولى بذلك منا، فكيف الجمع بين الموضعين؟

جوابه: أن المنفي علم ما أظهروه مع ما أبطنوه، معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطناً وظاهراً، بل أنت المنفرد بعلم ذلك إلا ما علّمتنا؛ ولذلك قالوا: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾** (المائدة: من الآية١٠٩)، وإنما نعلم ظاهر جوابهم، وأما باطنه فأنت أعلم به.

جواب آخر: أن معناه: أن جوابهم لما كان في حال حياتنا ولا علم لنا بما كان منهم بعد موتنا؛ لأن الأمور محالة على خواتيمها.

مسألة: قوله تعالى في آخر السورة: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾** (المائدة: من الآية ١١٩) وقال في آخر المجادلة: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾** (المجادلة: من الآية٢٢).

جوابه: أنه لما تقدم وصفهم بالصدق، ونفعهم إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكّده بقوله: **﴿أبداً﴾** وكذلك أكده بقوله : **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** (المائدة: من الآية١١٩).

[٦] سورة الأنعام

مسألة: قوله تعالى: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾** (الأنعام: من الآية١) فرق بين **﴿خَلَقَ﴾** (الأنعام: من الآية١) و **﴿جَعَلَ﴾** (الأنعام: من الآية١).

جوابه: أن السماوات والأرض أجرام؛ فناسب فيهما **﴿خَلَقَ﴾** (الأنعام: من الآية ١)، والظلمات والنور أعراض ومعان؛ فناسب فيهما **﴿جَعَلَ﴾** (الأنعام: من الآية١)، ومثله كثير كقوله تعالى: **﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾** (البقرة: من الآية٢٢) أي لا

تصفوا، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ (الأنعام: من الآية١٠٠) وهو كثير.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: من الآية١) جمع الظلمات وأفرد النور.

جوابه: أما من جعل الظلمات الكفر، والنور الإيمان فظاهر؛ لأن أصناف الكفر كثيرة والإيمان شيء واحد، ومن قال بأن المراد حقيقتهما فلأنه يقال: رجل نور ورجال نور، فيُقال للواحد وللجماعة، وواحد ظلمة فجُمِعَتْ جمع التأنيث، ولأن حقيقة النور واحدة وحقائق الظلمات مختلفة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ (الأنعام: من الآية٥) وفي الشعراء: ﴿فَسَيَأْتِيهِم﴾ (الشعراء: من الآية٦).

جوابه: مع قصد التنويع في الفصاحة، أن المراد بآية الأنعام الدلالة على نبوة النبي ﷺ من الآيات والمعجزات، والمراد بالحق القرآن ولكن لم يصرِّح به، وفي الشعراء صرَّح بالقرآن بقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الشعراء: من الآية ٥) فعلم أن المراد بالحق: القرآن؛ فناسب ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ (الشعراء: من الآية٦) تعظيماً لشأن القرآن؛ لأن ((السين)) أقرب من ((سوف)).

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ (الأنعام: من الآية٦)، وفي الشعراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ (الشعراء: من الآية٧) بالواو، وفي سبأ بالفاء.

جوابه: أنه إن كان السياق يقتضي النظر والاستدلال جاء بغير ((واو)) وهنا كذلك لمن يعتبر الآيات قبله، وإن كان يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء لتدل الهمزة على الإنكار، والواو على عطفه على الجمل قبله، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٤٨) الآية، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (سبأ: من الآية٩).

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ (الأنعام: من الآية١١) وفي موضع آخر بالفاء، وقال هنا: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١١) وفي

النمل: ﴿عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل: من الآية٦٩).

جوابه: أن آية الأنعام ظاهرة في الأمر بالسير في بلاد المهْلَكِين؛ فناسب ((ثم)) المرتبة على السير المأمور به، وفي المواضع الأُخَر الأمر بالنظر بعد السير المتقدم، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الروم: من الآية٩)؛ فناسب أن يأتي بالفاء كأنه قيل: قد ساروا فلينظروا، أو قد ساروا فنظروا عند سيرهم، ولما تقدَّم هنا قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: من الآية٥) ناسب قوله: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١١) ولم يتقدم مثله في النمل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (الأنعام: من الآيتين ١٢، ٢٠) ثم أعادها بَعْدُ.

جوابه: أن الأولى للمشركين، والثانية لأهل الكتاب ليعم الفريقين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٧) ، وفي يونس: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: من الآية١٠٧) قال هنا: ﴿يَمْسَسْكَ﴾ (يونس: من الآية١٠٧)، وفي يونس: ﴿يُرِدْكَ﴾ (يونس: من الآية١٠٧)، وقال هنا: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٧)، وفي يونس: ﴿فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: من الآية١٠٧).

جوابه: مع قصد التنويع، أنَّ الضرَّ إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى، فاستوى فيه الموضعان، وأما الخير فقد يراد قبل نيله بزمن إما من الله تعالى، ثم بنيله بعد ذلك أو من غيره، فهي حالتان: حالة إرادته قبل نيله وحالة نيله، فذكر الحالتين في السورتين، فآية الأنعام حالة نيْله فعبَّر عنه بالمسّ المُشْعِر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٧) أي على ذلك وعلى خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله، وآية يونس حالة إرادة الخير قبل نيله، فقال: ﴿يُرِدْكَ﴾ (يونس: من الآية١٠٧) ثم قال: ﴿فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: من الآية١٠٧) أي إذا أراد نيله؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (يونس: من الآية١٠٧) ففي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، وأمثاله بالواو فيهما.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ (الأنعام: الآية٢١) وختمها بالظالمين، وفي يونس: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ (يونس: من الآية١٧) بالفاء وختمها بالمجرمين.

جوابه: أن آية الأنعام ليس ما قبلها سبباً لما بعدها فجاءت بالواو المؤذنة بالاستئناف، وآية يونس ما قبلها سبب لما بعدها فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية فبرأته من إشراكهم ومعرفتهم ليس سبباً في أظلميتهم ولُبثه فيهم عمراً من قبله وعلمهم بحاله سَبَبٌ لكونهم أظلم، كأنه قيل: إذا صحَّ عندكم أنه صدق فمن أظلم ممن افترى، وختم هذه بالظالمين لتقدم قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ (يونس: من الآية١٧) وختم تلك بالمجرمين لقوله قبل ذلك: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يونس: من الآية١٣).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٥) وفي يونس: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ (يونس: من الآية٤٢)، و﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ (يونس: من الآية٤٣).

جوابه: أن آية الأنعام في أبي جهل والنضر وأُبَيّ[1] لما استمعوا قراءة النبي ﷺ على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: أساطير الأولين، فلما قل عددهم أفرد الضمير مناسبة للمضمرين، وآية يونس عامة لتقدُّم الآيات الدالة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ (يونس: من الآية٤٠)؛ فناسب ذلك ضمير الجمع، وأفرد ﴿مَنْ يَنْظُرُ﴾ (يونس: من الآية٤٣) لأن المراد: نظر المستهزئين فأفرد الضمير، أو أنه لما تقدم ضمير الجمع أفرد الثاني تَفنُّناً واكتفى بالأول، أو تخفيفاً مع حصول المقصود.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

---

(١) أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، وكان يقال له: أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل وقتل في وقعة بدر الكبرى. الأعلام (٨٧/٥).

(الأنعام:٢٩) وفيما سواها: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (المؤمنون: من الآية٣٧).

جوابه: أن ﴿قَالُوا﴾ (الأنعام: من الآية٣١) هنا عطف على قوله تعالى: ﴿لَعَادُوا﴾ (الأنعام: من الآية٢٨) أي: لعادوا وقالوا، وفي غيرها حكاية عن قولهم في الحياة الدنيا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام: من الآية٣٢) وكذلك في الحديد وغيرها، وقدم في الأعراف والعنكبوت اللهو على اللعب.

جوابه: في الأعراف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ (الأنعام: من الآية٣٣) وفي آخر السورة: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٤٧) الآية.

جوابه: أنهم لا يكذبونك في الباطن؛ لأنك عندهم معروف بالأمين، وإنما يكذبونك في الظاهر ليصدُّوا عنك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ (الأنعام: من الآية٤٠)، وكذلك في الآية الثالثة، وفي الثانية: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ (الأنعام: من الآية٤٦) على العادة فيه، جمع فيها بين علامتي الخطاب وهما تاء الضمير وكاف الخطاب.

جوابه: أنه لما كان المتوعَّد به شديداً أكَّد في التنبه عليه بالجمع بينهما مبالغة في الوعد.

مسالة: قوله تعالى: ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (الأنعام: من الآية٥٠) وفي هود حذف ﴿لَكُمْ﴾.

جوابه: أن آية هود تقدَّمها ﴿لَكُمْ﴾ مرات عِدَّة فاكتفى به تخفيفاً، ولم يتقدَّم هنا سوى مرة واحدة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ (الأنعام: من الآية٧١) وكذلك في سورة الأنبياء: ﴿مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾ (الأنبياء: من الآية٦٦) قدَّم النفع على الضُّر، وفي الحج والفرقان وغيرهما قدَّم الضر على النفع.

جوابه: أن دفع الضرِّ أهم من جلب النفع، فلما تقدم ذكر نفي الملك والقدرة عنهم؛ كان تقديم ذكر دفع الضرِّ وانتفاء القدرة عليه أهم، ولما كان سياق غير ذلك في العبادة والدعاء والمقصود بهما غالباً طلب النفع وجلبه كان تقديم النفع أهم؛ ولذلك قال في الحج: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ (الحج: من الآية١٣).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٠) وفي يوسف: ﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: من الآية١٠٤) مذكراً منوناً.

جوابه: أنه تقدم في هذه السورة: ﴿فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ (الأنعام: من الآية٦٨)؛ فناسب: ﴿إِنْ هُوَ إلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ (الأنعام: من الآية٩٥) وفي سائر المواضع ﴿وَيُخْرِجُ﴾ بالياء.

جوابه: أن ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مناسب في المعنى لفلق الحب والنوى عن الخارج عنهما؛ فجيء بالياء كالشرح له، ثم عطف ﴿مُخْرِجِ﴾ (الأنعام: من الآية ٩٥) على ﴿فَالِقُ﴾ (الأنعام: من الآية٩٥) لأن عطف الاسمية على الاسمية أنسب وأفصح، ولما فيه من المقابلة للجملة المتقدمة، وسائر المواضع بالياء؛ لأن الجملة قبلها فعلية فعطف عليها بفعلية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٧)، وبعده: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٨)، وبعده: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٩) ما وجه اختصاص كل آية بخاتمتها؟

جوابه: أن حساب الشمس والقمر والنجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء، فناسب خَتمه بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٧) ، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صُلْبٍ إلى رَحِمٍ، ثم إلى الدنيا، ثم إلى مُسْتَقرٍّ ومُستودَعٍ، ثم إلى حياة وموت، والنظر في ذلك والفكر فيه أدق؛ فناسب ختمه بـ﴿يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٨)، أي يفهمون، وهو اشتغال الذهن بما يُتَوصل به إلى غيره؛ فيتوصل بالنظر في ذلك إلى صحة وقوع البعث والنشور بثواب أو عقاب ولما ذكر ما أنعم به على

عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك؛ ناسب ذلك ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٠٢)، وقال في سورة المؤمن: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ (غافر: من الآية٦٢).

جوابه: لما تقدم هنا: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٠٠)؛ فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك ردّاً عليهم، ثم ذكر الخلق، ولما تقدَّم في المؤمن كونه خالقاً بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: من الآية٥٧)؛ ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام: من الآية١١٢)، وقال بعده: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٧).

جوابه: لما تقدم في الأولى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ (الأنعام: من الآية ١١٢) الآية، وهو تسليةٌ له ﷺ؛ ناسب ذلك: ﴿ولو شاء ربك﴾ الحافظ لك ﴿ما فعلوه﴾، وأما الثانية فتقدمها قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً﴾ (الأنعام: من الآية١٣٦)؛ فناسب ذلك: ﴿ولو شاء الله﴾ الذي جعلوا له ذلك ﴿ما فعلوه﴾.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: من الآية ١١٧) وفي النحل وغيرها: ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (النحل: من الآية١٢٥).

جوابه: أن الأصل دخول الباء فيه، لكن تقدَّم قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) ولما تقدم هنا: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: من الآية١١٦)، ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: من الآية١١٩)؛ ناسب ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِه﴾ (الأنعام: من الآية١١٧)، وبقية الآيات إخبار عمن سبق منه الضلال؛فناسب الفعل الماضي.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾

(الأنعام:١٣١). وقال في هود: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: من الآية١١٧).

جوابه: أن آية الأنعام تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٠) أي يوقظونكم بالآيات من غفلاتكم؛ لأن الإنذار: الإيقاظ من الغفلات عن المُنْذَر به؛ فناسب قوله: ﴿غَافِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣١)، وفي هود تقدَّم: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ (هود: من الآية١١٦)؛ فناسب الختم بوله: ﴿مُصْلِحُونَ﴾ (هود: الآية١١٧) ؛ لأن ذلك ضدُّ الفساد المقابل له.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٥)، وفي الزمر: من (الآية ٣٩) وفي قصة شعيب في هود: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (هود: من الآية ٩٣) بغير فاءٍ.

جوابه: أن القول في آيتي الأنعام والزمر بأمر الله تعالى له بقوله: ﴿قُلْ﴾ فناسب التوكيد في حصول الموعود به بفاء السببية، وآية هود من قول شعيب؛ فلم يؤكد ذلك.

مسألة: قوله تعالى: حكاية عن قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾ (الأنعام: من الآية١٤٨) الآية. وقال في النحل: ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٣٥).

جوابه: أن لفظ الإشراك مُؤْذِنٌ بالشريك فلم يقل: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ (النحل: من الآية ٣٥)، بخلاف ﴿عَبَدْنَا﴾ (النحل: من الآية٣٥) ليس مؤذناً بإشراك غيره؛ فلذلك جاء ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ (النحل: من الآية٣٥)، وأما زيادة ﴿نَحْنُ﴾ (النحل: من الآية٣٥) فإنه لما حال بين الضمير في ﴿عَبَدْنَا﴾ (النحل: من الآية٣٥) وبين ما عطف عليه حائلٌ وهو قوله : ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ (النحل: من الآية٣٥) ؛ أكد بقوله: ﴿نَحْنُ﴾ (النحل: ٣٥) ، وهاهنا لم يَحُل بين الضمير والمعطوف عليه حائل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٨)، وفي النحل:﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النحل: من الآية٣٥).

جوابه: لما تقدم قوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٧)؛ ناسب: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٨)، ولما تقدَّم في النحل: ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، إلى قوله: ﴿وَلا حَرَّمْنَا﴾ (النحل: من الآية٣٥) قال: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النحل: من الآية٣٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١) وفي سبحان: ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء:الآية٣١).

جوابه: أن قوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١)، وهو الفقر خطاب للمُقلّين الفقراء؛ أي لا تقتلوهم من فقرٍ بكم، فحسن ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١) ما يزول به إملاقكم، ثم قال: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١) أي نرزقكم جميعاً، وقوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ (الإسراء: من الآية٣١) خطاب للأغنياء، أي خشية إملاق يتجدد لكم بسببهم، فَحَسُنَ ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: من الآية٣١).

مسألة: قوله تعالى في آخر الوصية الأولى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٥١)، وفي آخر الثاني: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٢)، وفي آخر الثالثة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٣).

جوابه: أن الوصايا الخمس إنما يحمل على تركها العقل الغالب على الهوى؛ لأن الإشراك بالله تعالى لعدم استعمال العقل الدال على توحيد الله وعظمته ونِعمهِ على عبيده، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لِسَبْقِ إحسانهما إلى الولد بكل طريق، وكذلك قَتْلُ الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الكريم، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، وكذلك قتل النفس لغيظٍ أو غضبٍ في القاتل؛ فحسن بعده: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١)، وأما الثانية فلتعلقها بالحقوق المالية والقولية، أي لعلكم تذكرون في أنفسكم أن لو كان الأيتام أولادكم وكنتم

أنتم القابضين لأنفسهم ما يُكال أو يُوزن، أو المشهود عليه أو المقر له أو الموعود، أكنتم ترضونه لأنفسكم؟ فما لا ترضونه لأنفسكم لا ترضوه لغيركم، وأما الثالثة فلأن ترك اتباع الشرائع الدينية مؤدٍ إلى غضب الله تعالى وإلى جهنم لما فيه من معصية الله تعالى فَحَسُنَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٥٣) ذلك، أو تتقون عذاب الله سبحانه بسببه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٥)، وفي الأنبياء: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الأنبياء: من الآية٥٠) قدم الإنزال هاهنا، وأخَّره في الأنبياء.

جوابه: قدم الإنزال هاهنا ردًّا على قول فنحاص بن عازوراء [1]: ما أنزل الله على بشرٍ من شيء، فبدأ اهتماماً به؛ ولأن الكتب سماوية فناسب البداءة بالإنزال، وآية الأنبياء في الذكر فجاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٠)، وقال تعالى في البقرة: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٦١) الآية.

جوابه: أن آية الأنعام لمطلق الحسنات، وآية البقرة خاصة في النفقة في سبيل الله السالمة من المنّ والأذى، وقد تقدم في البقرة ، فإن قيل: ففي البقرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٥) الآية.

قلنا: وروده بعد قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٤) يدل على ما قدمناه، أو المراد بهذه الآية: العشر فما زاد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٣)، وقال في

---

(١) فنحاص: فهو فنحاص بن العيزار بن هارون من بني إسرائيل. الجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٥٠٥).

يونس عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: من الآية٧٢)، وفي موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣).

جوابه: أن المراد: أول المسلمين من أهل مكة - شرفها الله تعالى - لأنه أول المسلمين منهم، ولم يكن نوح أول من أسلم في زمانه، ومثله قول سحرة فرعون: ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: من الآية٥١) يريد أولهم من قوم فرعون. وأما قول موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣) أراد أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يُرد الإيمان الذي هو الدين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٥)، وفي فاطر: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ (فاطر: من الآية٣٩). جوابه: في فاطر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٥)، وفي الأعراف: ﴿لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٧).

جوابه: أنه لما تقدم ما يُؤذن بالكرم والإحسان في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٠) الآيات؛ ناسب ترك التوكيد في جانب العقاب، وفي الأعراف لما تقدم ما يُؤْذِنُ بغضب الله وعذابه من اتخاذهم العجل وحِلِّ السبت؛ ناسب توكيد جانب العذاب بدخول اللام.

[٧] سورة الأعراف

مسألة: ما سبب اختلاف الألفاظ وزيادة المعاني ونقصها في بعض قصص آدم دون بعض، وكذلك في غير ذلك من القصص؛ كقصة موسى مع فرعون، ونوح وهود وصالح مع قومهم، وشبه ذلك؟

جوابه: أما اختلاف الألفاظ: فلأن المقصود المعاني؛ لأن الألفاظ الدالة عليها أولاً لم تكن باللسان العربي، بل بألسنة المتخاطبين حالة وقوع ذلك المعنى، فلما أُديت تلك المعاني إلى هذه الأمة؛ أُدِّيت بألفاظ عربية تَدُل على معانيها مع اختلاف الألفاظ واتحاد المعنى، فلا فرق بين ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: من الآية٣١) وبين: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١١) في دلالتها على

معنى واحدٍ وهو عدم السجود، وكذلك لا فرق في المعنى بين ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ (الأعراف: من الآية١٢) و﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ (ص: من الآية٧٥) لأن ((لا)) صلةٌ زائدة، وأما زيادة المعاني ونقصها في بعض دون بعض؛ فلأن المعاني الواقعة في القصص فرقت في إيرادها فيُذْكَرُ بعضها في مكانٍ وبعض آخر في مكان آخر، ولذلك عِدة فوائد ذكرتها في كتاب المُقتنص في تكرار القصص.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ (الأعراف: من الآية١٤)، وفي الحجر وص: ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾ (الحجر: من الآية٣٦) بالفاء.

جوابه: أن آية الأعراف استئناف سؤال غير مسببٍ عما قبله، فلا وجه للفاء، وكذلك: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٥) خبرٌ مستأنف غير مسبَّب عما قبله، وحيث جاء بالفاء فهو مسبب عما قبله، تقديره: إن أخرجتني فأنظرني. ولما جاء بفاء السببية هنا؛ ناسب: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الحجر: من الآية٣٧) بالفاء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾ (الأعراف: من الآية٥١) قدم اللهو على اللعب، وفي العنكبوت وبقية المواضع قدَّم اللعب على اللهو.

جوابه- والله أعلم- : أن اللهو عن الشيء تركه وإهماله والإعراض عنه ونسيانه، واللعب معروف؛ وهو فعل مقصود لفاعله، فلما جاء في الأعراف بعد قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأعراف: من الآية٤٨) وهو ذمٌّ لهم بالإعراض عن اتباع الحق وإهماله؛ ولذلك قال بعده: ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ (الأعراف: من الآية٥١)، وكذلك آية العنكبوت جاءت بعد قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (العنكبوت: من الآية٦١) الآيتين. دلَّ بهما على إعراضهم عن الحق واتباعه مع علمهم به، وأما في المواضع الأُخر فجاء في سياق ذم الدنيا والاشتغال عن الله تعالى ولهوها وزينتها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً﴾ (الأعراف: من الآية٥٧) بلفظ المستقبل، وكذلك في الروم، وفي الفرقان وفاطر: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ

الرِّيَاحَ﴾ (فاطر: من الآية٩) بلفظ الماضي.

جوابه: لما تقدم ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤) ناسب ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ﴾ (الأعراف: من الآية٥٧)، وأيضاً تقدم قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية٥٥) فناسب ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ (الأعراف: من الآية٥٧) لأن الدعاء إنما يكون لما يأتي، وكذلك في الروم لما تقدم قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ (الروم: من الآية٤٦) ناسب بعده: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ (الروم: من الآية٤٨)، أما الفرقان فلما تقدم ذلك أفعال ماضية وهو قوله تعالى: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان: من الآية٤٥) ﴿لَجَعَلَهُ﴾ (الفرقان: من الآية٤٥)، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ (الفرقان: من الآية٤٦) ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ (يونس: من الآية٦٧) ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ﴾ (الفرقان: من الآية٤٧) ناسب ذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ (الفرقان: من الآية٤٨)، وأما آية فاطر فإنه تقدم قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (فاطر: من الآية٣) وهو المطر، وإنما يُذَكِّر بشكر النعم الماضية على زمن الشكر؛ فناسب: ﴿أَرْسَلَ﴾ (الفرقان: من الآية٤٨) ماضياً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ (الأعراف: من الآية٥٩) بغير واو، وفي هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ (هود: من الآية٢٥).

جوابه: أن هنا لم يتقدمه دعوى نبوة ورَدُّ قومٍ يدَّعِي ذلك عليه فهو كلام مبتدأ، وفي هود والمؤمنون تقدم ما يُشعر بذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ (هود: من الآية١٧) الآية، فحسن العطف عليه بالواو، وتسلية للنبي ﷺ، وتخويفاً لقومه بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ (هود: من الآية ١٢)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (هود: من الآية١٣) الآيات، وأما المؤمنون فلتقدم ذكر نعمه ثم على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم؛ فعطف عليه بالواو وبقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (المؤمنون:٢٢) ولأنه تقدم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ (المؤمنون: من الآية ١٧)، فناسب العطف عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ (المؤمنون: من

الآية٢٣) الآية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ (الأعراف: من الآية٦٠) في قصة نوح، وقال بعده في قصة هود: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (الأعراف: من الآية٦٦).

جوابه: أن نوحاً لم يؤمن أحدٌ من أشراف قومه، وهود آمن بعض أشراف قومه؛ فلذلك قال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (الأعراف: من الآية٦٢).

مسألة: قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية ٦٢)، وقال في قصة هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: من الآية٦٨).

جوابه: أن الضلال فِعلٌ يتجدد بترك الصواب إلى ضده، ويُمكن تركه في الحال فقابله بفعل يناسبه في المعنى؛ فقال: ﴿وَأَنْصَحُ﴾ (الأعراف: من الآية٦٢). والسفاهة صفة لازمة لصاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ (الأعراف: من الآية٦٨).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ (الأعراف: من الآية٧٨) فأفرد، وفي هود: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ﴾ (هود: من الآية٦٧) فجمع.

جوابه: أن المراد بالرجفة: الزلزلة العظيمة فصح الإفراد؛ لأن المراد بدارهم: بلدهم المُزَلْزَل، والمراد بالصيحة: صيحة من السماء، والمراد بديارهم: منازلهم فصح الجمع.

مسألة: قوله تعالى في قصة نوح وشعيب: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ (الأعراف: من الآية٦٢)، وقال في هود [1] وصالح: ﴿رِسَالَةَ رَبِّي﴾ (الأعراف: من الآية٧٩) فأفرد.

جوابه: أن قصة نوح وشعيب تضمنتا أنواعاً من التبليغات وإن لم يُذكر هنا مع

---

(١) الصواب أنه في قصة هود وردت الآية بلفظ الجمع ((رسالات)) الأعراف (٦٨).

طول مدة نوح؛ فجمع لذلك، وقصة هود وصالح ليست كذلك فأفرد.

مسألة: قوله تعالى في قصة شعيب- عليه السلام -: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (الأعراف: من الآية٩١) وقال في الشعراء: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ (الشعراء: من الآية ١٨٩).

جوابه: قيل: أصحاب الأيكة غير مدين فلا يَرِدُ السؤال، وقيل: هما بمعنى واحد؛ فجوابه: أن الصيحة لما أصابتهم خرجوا من ديارهم هاربين إلى الصحراء فأحرق جلودهم الحَرُّ، فجاءت الظلَّة فهربوا إليها، فصيح بهم فماتوا في ظلالهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية٨٢) وفي العنكبوت: ﴿إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٩) و﴿إِلا﴾ للحصر فكيف الجمع بينهما؟

جوابه: لعل ذلك في مجالس؛ ففي مجلس اختصر بذكر إتيان الفاحشة وإظهارها، فناسب ذكر إخراجه كيلا يعيب عليهم، ذلك وفي مجلس عدد ذنوبهم فناسب مطالبهم بإتيان العذاب عليها فحصر الجواب في كل مجلس بما ذكر فيه وناسبه، أو أن الجوابين من طائفتين لا يجيبان إلا بما ذكر عنهما.

مسألة: قوله تعالى في قصة مدين ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (الأعراف: من الآية٩١) وقال في هود: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ (هود: من الآية٩٤).

جوابه: قيل: إن ابتداء عذابهم كان زلزلة عظيمة ثم صيحة عظيمة قطَّعت أكبادهم فماتوا جميعاً، وقيل: لأن الزلزلة العظيمة لا تخلو من صيحة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٥)، وفي طه: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ (طه: من الآية٤٧).

جوابه: أن المرسل هنا موسى - عليه السلام - فقط فقال: ﴿مَعِيَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٥)، وفي طه: موسى وهارون- عليهما السلام - فقال: ﴿مَعَنَا﴾ (طه: من الآية٤٧).

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠): وفي الشعراء: ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ (الشعراء: من الآية٣٥).

جوابه: أن آية الأعراف من كلام الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدهم في رَدِّ أمر موسى صرَّح بأنه سحر ويؤيده: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ (طه: من الآية٥٧) قاصداً بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ (الأعراف: من الآية١٢٣)، وفي الشعراء: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ (الشعراء: من الآية٤٩).

جوابه: أن الضمير في ﴿بِهِ﴾ (الأعراف: من الآية١٢٣) يرجع إلى رب العالمين أو إلى موسى، وفي ﴿لَهُ﴾ (الشعراء: من الآية٤٩) يجوز رجوعه إلى موسى، أو إلى ما جاء به من الآيات، أي لأجل ما جاء به من ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (الأعراف: من الآية١٦١) الآيات، وتقدَّم في الأنعام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠١)، وفي يونس: ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (يونس: من الآية٧٤).

جوابه: أما آية يونس - عليه السلام - فلِتَقدم قوله في قصة نوح - عليه السلام -: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (يونس: من الآية٧٣) فعدَّى كذَّبوا بآياتنا بما عدَّاه أولاً، ولم يتقدم في الأعراف التكذيب متعدياً بالباء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ (الأعراف: من الآية٩٦)؛ فناسب كل موضع ما قبله، وأما قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٠١)، وفي يونس: ﴿نَطْبَعُ﴾ (يونس: من الآية٧٤) فلتناسب كل آية ما تقدَّمها، فالأعراف تقدَّمها إظهار بعد إضمار في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ (الأعراف: من الآية٩٧)، ثم قال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ (الأعراف: من الآية٩٩)؛ فناسب ذلك: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ (الأعراف: من الآية١٠١) ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٠١)، وأيضاً لما أكَّد أول

الآية بالقسم ناسب ذلك تعظيم الطَّبع بنسبته إلى اسم الله تعالى، وناسب التصريح بوصفهم بالكفر الذي معناه أقبح وأشد من معنى الاعتداء؛ فناسب كل آية ما خُتمت به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٠١)، وفي يونس- عليه السلام -: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ (يونس: من الآية٧٤) بالنون.

جوابه: أنه تقدَّم هنا: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ (الأعراف: من الآية٩٩) الآية، فناسب التصريح بقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٠١)، وفي يونس تقدم ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ (يونس: من الآية٧٣)، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ (يونس: من الآية٧٤)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ (يونس: من الآية٧٣)؛ فناسب: ﴿نَطْبَعُ﴾ (يونس: من الآية٧٤) بالنون.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، وفي الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: ٣٤) فظاهر آية الأعراف أن الملأ قالوا ذلك، وظاهر آية الشعراء أن قائله فرعون.

جوابه: أن كلاً منهما قاله، لكن لما تقدم في الشعراء ابتداء مخاطبة فرعون لموسى بقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ (الشعراء: من الآية١٨)الآيات، ناسب ذلك حكاية قول فرعون للملأ؛ لأنه المتكلم بذلك أولاً؛ تنفيراً لقومه عن متابعته كما تقدَّم قبل هذا، ولم يأتِ في الأعراف مثل ذلك؛ فحكى قولهم له.

مسألة: قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ (الأعراف: من الآية ١١١، وفي الشعراء: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ (الشعراء: من الآية٣٦) كلاهما معلوم المراد، فما فائدة اختلاف اللفظين؟ وكذلك قوله تعالى هنا: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ (الأعراف: من الآية١١٢) وفي الشعراء: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ (الشعراء: من الآية٣٧).

جوابه: مع التفنن في الكلام، أن ﴿وأَرْسِلْ﴾ (الأعراف: من الآية١١١) أكثر تفخيماً من ﴿وابْعَثْ﴾ (الشعراء: من الآية٣٦) وأعلى رتبة، لإشعاره بالفوقية، ففي الأعراف حكى قول الملأ لفرعون؛ فناسب خطابهم له بما هو أعظم رتبة تفخيماً له، وفي الشعراء صدَّر الكلام بأنه هو القائل لهم؛ فناسب تنازله معهم ومشاورته لهم،

وقولهم: ﴿ابعث﴾، وأما قوله هنا: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ (الأعراف: من الآية١١٢)، وفي الشعراء: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ (الشعراء: من الآية٣٧) فلتقدم قولهم: ﴿بِسِحْرِهِ﴾ (الشعراء: من الآية٣٥)؛ فناسب صيغة المبالغة ﴿سَحَّارٍ﴾ (الشعراء: من الآية٣٧).

مسألة: قولهم هنا وفي الشعراء: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف: من الآيتين١٢١، ١٢٢).

جوابه: لما تقدم في الأعراف: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٤)، وفي الشعراء: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: من الآية١٦)؛ ناسب ذلك: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٢١)ثم خصصوا المراد بأنه رب موسى وهارون الذي جاء برسالته لا غير، وفي طه لمراعاة رؤوس الآي أكتفي ((برب موسى وهارون))، فلم تحتج إلى إعادة ربِّ ثانياً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف:١٢٥)، وفي الشعراء: ﴿لا ضَيْرَ﴾ (الشعراء: من الآية٥٠) الآية بزيادة ﴿لا ضَيْرَ﴾ (الشعراء: من الآية٥٠).

جوابه: لما كان الوعيد في الشعراء أشدَّ؛ ناسب مقابلتهم له بعدم التأثر به في مقابلة ما يرجونه عند الله تعالى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾ (الأعراف: من الآية١٨٨)، وفي يونس: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾ (يونس: من الآية٤٩) قدَّم النفع هنا وأخَّره في يونس.

جوابه: أن آية الأعراف تقدَّمها ذكر الساعة؛ فناسب في حقه تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضُّرِّ الذي هو عذابها، وآية يونس تقدمها ذكرُ استعجال الكفار العذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ....﴾ (يونس: من الآية٤٨) الآية؛ فناسب تقديم الضُّر على النفع؛ ولذلك قال تعالى بعده: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً﴾ (يونس: من الآية٥٠)، وكذلك كل ما قدَّم فيه النفع والضُّر فلتقدُّم ما يناسب ذلك التقديم أو تأخيره، وذلك ظاهر لمن ينظر فيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: من الآية٢٠٠)

وفي حم السجدة: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: من الآية٣٦) بلام التعريف.

جوابه: أن آية الأعراف نزلت أولاً، وآية السجدة نزلت ثانياً، فَحَسُنَ التعريف. أي: هو السميع العليم الذي تقدَّم ذِكْرُه أولاً عند نزوغ الشيطان.

[٨] سورة الأنفال

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٢) وقال في الرعد: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: من الآية٢٨).

جوابه: أن المراد بالذكر ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن عصى أمره؛ لأن الآية نزلت عند اختلاف الصحابة في غنائم بدر؛ فناسب ذِكْر التخويف، وآية الرعد نزلت فيمن هداه الله وأناب إليه، والمراد بذلك الذكر ذِكْرُ رحمته وعفوه ولطفه بمن أطاعه وأناب إليه، وجمع بينهما في آية الزمر، فقال- تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (الزمر: من الآية٢٣) أي: عند ذكر عظمته وجلاله وعقابه، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر رحمته وعفوه وكرمه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية٣٩) تقدم في البقرة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنفال: من الآية٣٥)، وفي الأعراف: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: من الآية٣٩).

جوابه: أن الآية هنا في قريش، وكُفرهم بصلاتهم عند البيت مكاءً وتصديةً، وآية الأعراف في قومٍ ضلُّوا وأضلوا غيرهم بما كسبوا من إضلال غيرهم مع كُفْرِهم؛ فناسب زيادة العذاب وتضعيفه لزيادة الكسب في الضلالة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: من الآية١٧) فنفى أولاً ما أثبته آخراً.

جوابه: أن النبي ﷺ رمى أولاً، والصحابة قتلوا، والله تعالى هو الذي أوصل ما رماه إلى وجوه الكفار والقتلَ من الصحابي إلى مُقاتليهم، فَصَحَّ الإسناد إلى الله وإليهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ (الأنفال: من الآية٨) ما وجهه ومعناه، معه أن ظاهره- كما يقال- تحصيل الحاصل؟

جوابه: ليقع الحق عنده من نصر المسلمين وغَلَبِهم، أو ليُحِقَّ عندكم الحق عنده من النصر والغنيمة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال: من الآية٣٣) ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ (الأنفال: من الآية٣٤) فأثبت عذابهم ثانياً بعد نفيه أولاً، فما معناه؟

جوابه: المنفي عذاب الدنيا الذي كانوا يستعجلونه، والمثبت عذاب الآخرة، والمنفي تعذيبهم بشرط كونك فيهم، والمُثْبَتُ عدم ذلك الشرط، أو المنفي عذاب الكل، ليُعلِمَه أن بعضهم سيُسلمون، والمثبت عذاب بعضهم كيوم بدرٍ.

مسألة: قول الشيطان يوم بدر: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ (المائدة: من الآية٢٨) كيف لم يقل ذلك حين أبى من السجود؟

جوابه: أنه قد علم ما أُعِدَّ له من عذاب القيامة، فلما رأى الملائكة يوم بدر ونزولها إلى الأرض تَوهَّم أنه الوقت المعلوم، وأنه قد حان أجل عذابه.

مسالة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (الأنفال: من الآية٧٢)، وقال في براءة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية٢٠) قَدَّم المال هنا وأخَّره في براءة.

جوابه: أن آية الأنفال تقدَّمها ذكر الغنائم، واختيارهم أخذ الفداء من الأسرى ببدرٍ؛ فناسب تقديم إنفاق الأموال في سبيل الله تعالى، وآية براءة تقدَّمها ذكر افتخارهم بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين؛ فناسب تقديم الجهاد في سبيل الله على ذكر الأموال وأنه أهم. والله أعلم.

[٩] سورة براءة التوبة

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (التوبة: من الآية٢) وهذه الآية نزلت في ذي القعدة فآخر الأربعة صفر، ثم قال: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ

﴿الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: من الآية٥) وانسلاخها آخر المحرم.

جوابه: أن الآية الأولى في المعاهدين، والثانية في مَن ليس لهم عهد، ثم نسخ ترك القتال في الأشهر الحُرُم بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة: الآية٥) وقيل: أول الأربعة شوال، وعلى هذا لا إشكال، وقيل: أوَّلها عاشر الحجة سنة تسع، وسماها حُرماً؛ لتحريم قتالهم فيها أو تغليباً للأشهر الحرم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله: ﴿لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: من الآية١٩)، وقال بعده: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: من الآية٢٤)، وقال بعده: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: من الآية٣٧).

جوابه: أن الأولى نزلت في الذين فضَّلوا سِقاية الحاج وعِمارة المسجد الحرام على الإيمان والجهاد، فوضعوا الأفضل في غير موضعه وهو معنى الظلم، أو نقصوا الإيمان بترجيح الآخر عليه، والظلم النقص أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ (الكهف: من الآية٣٣)، والثانية في المسلمين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء، وبعض الفسق لا ينافي الإيمان، والثالثة في الكفار الذين كانوا ينسئون الشهور فيحلون حرامها ويحرِّمون حلالها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة: من الآية٣٧).

مسألة: قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية٣١) هل وقع ذلك لغير المسيح؟

جوابه: أنهم نزَّلوهم منزلة الرب تعالى في امتثال أحكامهم فيهم في التحليل والتحريم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً﴾ (التوبة: من الآية ٣١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية ٣٢) وفي الصف ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: من الآية٨) الآية.

جوابه: أنّ ﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾ (التوبة: من الآية٣٢) هو مفعول يريدون، وفي الصف مفعوله محذوف تقديره: يريدون الافتراء لأجل أن يطفئوا نور الله بأفواههم، أي بتحريفهم الكتاب، وما يقولونه من الرد على النبي ﷺ، ويؤيد ما قلناه من إظهار المفعول وحذفه في الصف: ما خُتِمَ به الآيتان، وظهر ذلك بالتدبُّر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ (التوبة: من الآية٥٤)، وقال بعد ذلك في مواضع: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ (التوبة: من الآية٥٤).

جوابه: أن الأول في سياق إثبات بعد النفي فناسب التوكيد بإعادة الجارِّ، بخلاف بقية الآيات.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (التوبة: من الآية٥٥) وقال بعدُ: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ (التوبة: من الآية٨٥)، فالآية الأولى بالفاء وتكرار ﴿وَلا﴾ وباللام في ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ وبلفظ ﴿الْحَيَاةِ﴾ (التوبة: من الآية٥٥) والآية الثانية بالواو وسقوط لا و﴿أَنْ﴾ موضع اللام.

جوابه: أن الآية الأولى ظاهرة في قوم أحياء، والثانية في قوم أموات، وأمَّا الفاء في الأولى فلأن ما قبلها أفعال مضارعة تتضمن معنى الشرط، كأنه قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات من الكسل في الصلاة وكراهية النفقات ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ..﴾ (التوبة: من الآية٥٥)الآية، والآية الثانية تقدمها أفعال ماضية وبعد موتهم، فلا تصلح للشرط فناسب مجيئها بالواو، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ (التوبة: من الآية٥٥) فلما تقدم من التوكيد في قوله: ﴿إلا وَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية٥٤) وفي قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَ﴾ (التوبة: من الآية٥٤) إلى ﴿وَلا يُنْفِقُونَ إلا﴾ (التوبة: من الآية٥٤)؛ فناسب التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ (التوبة: من الآية٥٥) بخلاف الآية الثانية، وأما اللام في الأولى وأن في الثانية؛ فلأن مفعول الإرادة في الأول محذوف واللام للتعليل تقديره: إنما يريد الله ما هم فيه من الأموال والأولاد

لأجل تعذيبهم في حياتهم بما يصيبهم من فقد ذلك؛ ولذلك قال: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: من الآية٥٥)، ومفعول الإرادة في الآية الثانية ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ ؛ لأن الأفعال المتقدمة عليه ماضية ولا تصلح للشرط، ولذلك قال: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: من الآية٨٤)، وأما ﴿الدُّنْيَا﴾ (التوبة: من الآية٥٥) في الثانية فلأنها صفة للحياة فاكتفى بذكر الموصوف أولاً عن إعادته ثانياً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية٨٧) وقال بعده: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية٩٣).

جوابه: أن الأولى صُدرت بما لم يُسَمَّ فاعله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية٨٦) مع العلم بالفاعل، فخُتِمت كذلك مناسبةً بين صدر الكلام وختمه، والثانية جاءت بعد بسط الكلام في عذر المعذورين؛ فناسب البسط في توبيخ مخالفيهم والتوكيد فيه بتصريح اسم الفاعل؛ ولذلك صُدِّرت الآية بـ﴿إِنَّمَا﴾ الحاصرة للسبيل عليهم، وأما خَتْمُ الأولى بـ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: من الآية ٨٧)، والثانية بـ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: من الآية٩٣) أمَّا الأولى فلأنهم لو فهموا أما في جهادهم مع رسول الله ﷺ من الأجر لما رضوا بالقعود ولا استأذنوا عليه، والثانية جاءت بعد ذكر الباكين لفوات صحبة رسول الله ﷺ، لعلمهم بما في صحبته من الفوز والمنزلة عند الله تعالى، فلو علم المستأذنون ما علمه الباكون لما رضوا بالقعود، لكنَّهم لا يعلمون.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (التوبة: الآية٦٧)، وقال في المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٧١).

جوابه: أن المنافقين ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهودَ وبعضهم مشركين، فقال: ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٦٧) أي في الكفر والنفاق، والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وشريعته الظاهرة فقال: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٧١) في النصرة وفي اجتماع القلوب على دينهم؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية١٠)، وقال في المنافقين:

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: ١٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة: من الآية٩٤)، وقال بعد ذلك: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة: من الآية١٠٥) فقال في الأولى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ (التوبة: من الآية٩٤)، وفي الثانية: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) وقال في الثانية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية١٠٥).

جوابه: أن الأولى في المنافقين بدليل: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبة: من الآية٩٤) وكانوا يخفون من النفاق ما لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله بإعلامه إياه، والآية الثانية في المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: من الآية١٠٣) وأعمالهم ظاهرة فيما بينهم من الصلاة والزكاة والحج وأعمال البِرِّ؛ فلذلك زاد قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية١٠٥)، وأما ﴿ثُمَّ﴾ (التوبة: من الآية٩٤) في الأولى فلأنها وعيد فبيَّن أنه لكرمه لم يؤاخذهم في الدنيا فأتى بـ((ثم)) المؤذنة بالتراخي، والثانية وعْدٌ فأتى بالواو والسين المؤذنتين بقُرب الجزاء والثواب، وبُعْدِ العقاب؛ فالمنافقون يؤخَّر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم؛ فناسب: ﴿ثُمَّ﴾ (التوبة: من الآية٩٤)، والمؤمنون يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ (النحل: من الآية٩٧) الآية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: من الآية١١٧). وقال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة: من الآية ١١٨) فهل التوبة الأولى هي الثانية أم غيرها؟

جوابه: قيل: الأولى عامة، والثانية في الفريق الذي كادت تزيغ قلوبهم، وقيل: الأولى هي الثانية وإنما بيَّن في الثانية سبب توبتهم، وقوله تعالى: ﴿لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة: من الآية١١٨) أي ليدوموا على توبتهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى ﴿إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: من الآية١٢٠)، وقال بعدها: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إلا كُتِبَ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٢١) زاد في الأولى ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: من الآية١٢٠).

جوابه: أن الآية الأولى تضمنت ما ليس من عملهم، فبين بكرمه تعالى أنه يُكتب لهم بذلك عمل صالح، وإن لم يكن من عملهم، والآية الثانية تَضمنت ما هو من عملهم القاصدين له، فقال: ﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٢٠) أي ثواب ذلك العمل. والله أعلم.

[١٠] سورة يونس عليه السلام

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ (يونس: من الآية١٨)، وفي الفرقان: ﴿مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ (الفرقان: من الآية٥٥).

جوابه لما تقدم هنا: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٥) ناسب تقديم الضر، أي لا يضرهم إن عصوه ولا ينفعهم إن أطاعوه، وفي الفرقان تقدَّم ذكر النعم وعدها؛ فناسب تقديم النفع؛ أي ما لا ينفعهم بنعمة من النعم، ومثله قوله فيها: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إلا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (يونس: من الآية٤٩) قدَّم الضرَّ لتقدُّم قوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ (يونس: من الآية٤٨).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (يونس: من الآية٦٥) وكذلك في فاطر[١]، وقال في المنافقون: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: من الآية٨).

جوابه: أن العزة له تعالى جميعاً، وعزة الرسول ﷺ والمؤمنين منه، وهو

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾(فاطر: من الآية١٠).

مُعطيها لهم، فعزَّتُهم من عزته، فهو المُختص بها وحده تعالى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:٣٣)، وفي سورة المؤمن: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (غافر: من الآية٦) بالواو.

جوابه: أن المراد بمن قبلها ومن بعدها واحد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٣١)، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ﴾ (يونس: من الآية٣٤) الآيات؛ فَحَسُنَ ترك الواو لذلك وسورة المؤمن من بعدها غير من قبلها فناسب لأن المتقدم قوم نوح ومن ذكر معهم والمراد بالمتأخرين المشركون ومن وافقهم أنهم أصحاب النار، فجاءت الواو.

مسألة: قال هنا: ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ (يونس: من الآية٣٣) وفي المؤمن: ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: من الآية٦).

جوابه: أن المقول هنا يصح خطاب المؤمن والكافر به فمن أنكره خرج من الحق إلى الضلال؛ ولذلك قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلالُ﴾ (يونس: من الآية٣٢)، وآية المؤمن تقدمها: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إلا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: من الآية٤)؛ فناسب قوله تعالى: ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: من الآية٦).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (يونس: من الآية٤٢).

تقدم في الأنعام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٥٥) وبعده: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٦٨) وحذف ما في الأولى وأثبت من في الثانية وما في الثالثة.

جوابه: أن الأولى تقدمها ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ﴾ (يونس: من الآية٥٤) فأغنى لفظه عن إعادته مع العلم بالمعنى، والثانية تقدَّمها ﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (يونس: من الآية٦٥) فقال: ﴿وَمَنْ فِي

الأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٦٦) إشارة إلى أنهم لا يضرونك فيما لم يقدره الله؛ لأنهم مِلْكُهُ وعبيده وفي تصرفه، والثالثة تقدمها قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٦٨) أي هو الغني المطلق عن كل شيء من اتخاذ الأولاد للقوة والظفر وغير ذلك، فأكد بزيادة ((ما)) لأن السياق يقتضيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ﴾ (يونس: من الآية٥٤)، وفي الزمر: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ (الزمر: من الآية٤٧).

جوابه: لما أفرد النفس ناسب الاكتفاء بـ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾ (الزمر: من الآية٤٧)، ولما جمع الذين ظلموا ناسب ذكر الفداء بـ﴿مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ﴾ (الزمر: من الآية٤٧).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (يونس: من الآية٦١)، وفي سبأ: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ (سبأ: من الآية٣).

جوابه: لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ...﴾ (يونس: من الآية٦١) الآية، ناسب ذلك تقديم الأرض؛ لأن النور والتلاوة والعمل في الأرض، وفي سبأ تقدم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (سبأ: من الآية١) ؛ فناسب ذلك تقديم ((السماوات)).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ (يونس: من الآية٩٤) وقال في الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ (الأنعام: من الآية٥٧)، والشك لا يجوز عليه.

جوابه: أن المراد غيره ممن يجوز عليه الشك، وكذلك كل موضع يشبه ذلك في القرآن تقديره: فإن كنت أيها الإنسان؛ ولذلك قال: ﴿إِلَيْكَ﴾ (يونس: من الآية٩٤) ولم يقل: عليك، وقد تقدَّم في البقرة معناهما.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: من الآية١٠٤)، وفي النمل جوابه.

لما تقدم قبله: ﴿كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: من الآية١٠٣) ناسب قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: من الآية١٠٤)، ولما تقدم في النمل: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (النمل: من الآية٨١) ناسب بعده: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: من الآية٩١). والله أعلم.

[١١] سورة هود عليه السلام

مسألة: قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ (هود: من الآية١) ما معناهما؟ وهل التفصيل غير الإحكام؟

جوابه: معناه أُحكمت آياته في اللوح المحفوظ، ثم فُصِّلت في إنزالها على النبي ﷺ بحسب الحاجة والمصلحة ذلك الوقت.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (هود: من الآية٢) قدم النذارة هنا، وفي البقرة والأحزاب وحم السجدة قدم البشارة.

جوابه: لما قال هنا: ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ﴾ (هود: من الآية٢) ناسب تقديم النذارة على عباده غير الله تعالى، وفي البقرة والأحزاب كان الخطاب له؛ فناسب كرامته تقديم البشارة، وكذلك في حم ناسب ذكر الرحمة ووصف الكتاب تقديم البشارة. والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: من الآية٦) وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك: من الآية١٥) ما فائدة السعي وهو مضمون؟

جوابه: أنه تكفل برزقها على الوجه المعتاد المشروع لمصالح العالم وعمارة الدنيا وكما يُخْلقُ الولد على الوجه المعتاد من الوطء وغيره وإن كان قادراً على إيجاده اختراعاً أوَّلياً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ﴾ (هود: من الآية ١٠) وفي حم السجدة: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ (فصلت: من

الآية٥٠).

جوابه: أن آية هود تقدمها: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ (هود: من الآية٩) فأغنى عن إعادتها ثانياً، ولم يتقدم ذلك في حم السجدة فذكرها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (هود: من الآية١٤) والنبي ﷺ والصحابة كانوا يعلمون ذلك، فما فائدة الشرط؟

جوابه: أن ذلك الخطاب يجوز من النبي ﷺ للكفار، أي فإن لم يستجيبوا لكم إن دعوتموهم فاعلموا. فيكون من تمام خطاب النبي ﷺ لهم، ويجوز أن يكون الشرط خطاباً من الله تعالى للمؤمنين، ويكون قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا﴾ (هود: من الآية١٤) أي فدُومُوا على علمكم، ويعني بعلم الله: أو بعلمه بالغيوب وبمعلوماته.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ (هود: من الآية١٥) الآية، وقال في آل عمران في يوم أحد: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: من الآية١٥٢) الآية، وهم أصحاب النبي ﷺ.

جوابه: من وجوه: قيل: هو عام ومعناه خاص في الكفار من أهل الكتاب والربَّانيين وغيرهم، وقيل: هو في العصاة من المؤمنين ويكون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ﴾ (هود: من الآية١٦) إن جازاهم على ذلك لكنه يعفو عنهم إذا شاء وقيل المراد من كان يريد الدنيا فقط خاصة دون الآخرة لعدم إيمانه بها، أو إهماله لشأنها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (هود: من الآية١٧) أين خبره؟

جوابه: هو محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو كثير في القرآن، جرياً على عادة كلام العرب لفهم المعنى منه، تقديره: كمن هو ضالٌّ كفورٌ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ (هود: من الآية٣٥) والشرط لا يكون إلا مستقبلاً.

جوابه: أن تقديره: إن ثبت أو بان أو صحَّ أني افتريته فعليَّ إجرامي.

مسألة: قوله تعالى في قصة عاد ومدين: ﴿وَلَمَّا﴾ (هود: من الآيتين ٥٨، ٩٤) بالواو، وفي قصة ثمود وقوم لوط بالفاء.

جوابه: أن قصتي صالح ولوط جاءتا في سياق الوعد المؤقت بالعذاب؛ فناسب الفاء الدالة على سببية الوعد لما جاء، وقصة عاد ومدين جاءتا مبتدأتين غير مسببتين عن وعد مؤقت سابق؛ فجاء بواو العطف على الجملة التي قبلها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ (هود: من الآية٨١) ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود: من الآية٨١) وفي الحجر: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (الحجر: من الآية٦٥) استثنى امرأته في هود ولم يستثنها في الحجر، وفي الحجر خاصة: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ (الحجر: من الآية٦٥).

جوابه: أنه تقدَّم في الحجر ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا امْرَأَتَهُ﴾ (الحجر: من الآيتين ٥٩، ٦٠)، فأغنى عن إعادتها استثناؤها، ولم يتقدم ذلك في هود فذكرها فيها، وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ (الحجر: من الآية٦٥) فليكون وراء أهله في السير فتتحقق نجاتهم مما أصاب قومه، فيتحقق ما وعده به الملائكة الرسل إليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ (هود: من الآية٨١)، وفي الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (الحجر:٧٣).

جوابه: أن ابتداء عذابهم الصبح وآخره لشروق الشمس، فعبر هنا عن ابتداء العذاب وفي الحجر عن انتهائه بالشروق والإشراق، والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ﴾ (هود: من الآية٨٤)، وفي العنكبوت: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ (العنكبوت: من الآية٣٦).

جوابه: أن سياق ما تقدم من قصص الأنبياء خالٍ عن الفاء في مثل ذلك، وآية العنكبوت تقدمتها القصص بالفاء في مثله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ (العنكبوت: من الآية١٤)، ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٦)، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ (هود: من الآية٢٦)؛ فناسب سياق ذلك فقال بالفاء هنا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً﴾ (هود: من الآية٥٨) وفي قصة صالح ولوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ (هود: من الآية٦٦) بالفاء.

جوابه: أن شعيباً لم يؤقت لهم العذاب، ولا توعَّدهم بسرعته، فجاء بالواو لأنه غير منتظر، وفي قصة صالح ولط وقَّت لهما العذاب، فصالح قال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (هود: من الآية٦٥) وفي لوط: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ (هود: من الآية٨١) فجاء بالفاء المؤذنة بالسبب.

[١٢] سورة يوسف عليه السلام

مسألة: قوله تعالى في يوسف- عليه السلام-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ (يوسف: من الآية٢٢)، وفي القصص في موسى- عليه السلام-: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ (القصص: من الآية١٤).

جوابه: أن يوسف- عليه السلام نُبِّه على ما يُراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤياه الكواكب، والوحي حين أُلقي في الجُب، وإلهامه علم التعبير، وغير ذلك كان في زمان حداثته، وهو تعريضٌ بما يُراد منه. وموسى- عليه السلام-لم يَعلم المراد منه ولا نُبِّه عليه قبل بلوغ الأربعين وقبل مفارقة شعيب، فناسب قوله فيه: ﴿وَاسْتَوَى﴾ (القصص: من الآية١٤) لاسيما على قول الأكثر: عن الاستواء بلوغ الأربعين؛ لأنها كمال العقل والنظر، والخلاف في الأشد، والاستواء مشهور، ولم يقل أحد إنه دون البلوغ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (يوسف: من الآية١٠٩) هنا وفي الحج، وفي مواضع أخر: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (الروم: من الآية٩) بالواو.

جوابه: أن كل موضع يكون ما قبله سبباً لما بعده كان بالفاء السببية، وإن لم يكن سبباً لما بعده كان بالواو العاطفة؛ لأنها تعطف جملة على جملة.

بيان ذلك: لما تقدم في يوسف- عليه السلام-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (يوسف: من الآية١٠٩)، قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾

(يوسف: من الآية١٠٩) ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على مَنْ كذَّبهم، ولذلك في الحج لما تقدم: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (الحج: من الآية٤٥)، قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (الحج: من الآية٤٦) فيتدبروا أحوال الماضين منهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ (يوسف: من الآية١٠٩)، وفي الأعراف: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٩).

جوابه: أن هنا تقدَّم ذكر الساعة فكأنه قال تعالى: ولدار الساعة الآخرة. وفي الأعراف تقدَّم قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ (الأعراف: من الآية١٦٩)؛ فناسب: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٩).

[١٣] سورة الرعد

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الرعد:الآية١٥) وفي النحل: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (النحل: من الآية٤٩).

جوابه: أنه حيث أريد بالسجود الخضوع والانقياد جيء بـ﴿مَا﴾ (النحل: من الآية٤٩)؛ لأنها عامة فيمن يعقل ومن لا يعقل؛ كآية النحل فيمن يعقل ومن لا يعقل، وخص من يعقل هنا لتقدم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ (الرعد: من الآية١٤)، وقبله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ...﴾ (الرعد: الآية١٠) الآيات؛ فناسب: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الرعد: من الآية ١٥)، ولما تقدم في النحل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٤٨) وهو عام في كل ذي ظلّ، غَلَّب ما لا يعقل لأنه أكثر، وكذلك في سجدة الحج، وعطف ما لا يعقل على ما يعقل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾ (الرعد: من الآية١٦) قدَّم النفع؛ لأن النفس ترتاح إليه ولا تسأمه فقدَّمه لقوله: ﴿لأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١٦).

جوابه: لما قال: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (الرعد: من الآية١٦) والولي دأبه نفع وليّه مُطلقاً أصابه ضراء أو لم يصبه، وسواء قدر على نفع الضرّ أم لا؛ فناسب

تقديم النفع على الضر، بخلاف آية الفرقان كما سيأتي.

[١٤] سورة إبراهيم عليه السلام

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (إبراهيم: من الآية١) وقال بعده: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: من الآية٥) ولم يقل: بإذن ربهم.

جوابه: أن قصة موسى - عليه السلام - مضت وعُرِفت نبوته، فلا حاجة إلى توكيدها بذلك، ونبوة النبي ﷺ باقية وكذلك دعاؤه إلى الله تعالى؛ فناسب التوكيد لرسالته ونبوته بقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (إبراهيم: من الآية١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٥) ولم يقل: صبور ولا شكّار، فما فائدة ذلك التغاير وكلاهما للمبالغة؟

جوابه: أن نعم الله تعالى مستمرة متجددة في كل حين وأوان؛ فناسب: ﴿شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٥) لأن صيغة ((فَعُول)) تدل على الدوام كصدوق ورحوم وشبههما، وأما المؤلِمَات المحتاجة إلى الصبر عليها، فليست عامة بل تقع في بعض الأحوال؛ فناسب: ﴿صَبَّارٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٥) لأن ((فعَّالاً)) لا يشعر بالدوام كنوَّام وركّاب وأكّال، ولمراعاة رؤوس الآي.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا﴾ (إبراهيم: من الآية٦).

قدم في المائدة مثله.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية٧) ولم يقل بعده: لأُعذِّبنكم أشد عذاب كما قال: ﴿لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية٧).

جوابه: من وجهين: الأول: حسن المخاطبة في التصريح بالزيادة في الخير ولم يصرح بالعذاب في المخاطبة، الثاني: لو صرَّح بخطابهم بذلك لم يكن صريحاً بدخول غيرهم في ذلك الحكم، فعدل عن إضافة ذلك إليهم ليفيد عمومه في كل كافرٍ مطلقاً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية١١) ولم يقل: قالوا لرسلهم.

جوابه: أن التصريح باللام نصٌّ في تبليغ الرسالة لهم؛ فناسب ذكرها في سياق الرسل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (إبراهيم: من الآية٣٢)، وفي النمل: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (النمل: من الآية٦٠).

جوابه: أنه لما قال هنا: ﴿رِزْقاً لَكُمْ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٢)، وإقرانها بالرزق أبلغ في النعمة والمِنَّة أغنى ذكرها آخراً عن ذكرها أولاً، وفي النمل صدرها مع ﴿أَنْزَلَ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٢) للمنَّة، وليس ثَمَّ ما يُغني عنها في المنة عليهم.

[١٥] سورة الحجر

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ (الحجر: من الآية١١)، وفي الزخرف: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ (الزخرف: من الآية٧).

جوابه: أن في الحجر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الحجر:١٠)، فذكر الرسالة فقط؛ فناسب: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ (الحجر: من الآية١١)، وفي الزخرف تقدم ذكر النبوة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف:٦)؛ فناسب: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ (الزخرف: من الآية٧)، والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر:٣٥) وفي ص:﴿لَعْنَتِي﴾ (ص: من الآية٧٨).

جوابه: لما أضاف خلق آدم إليه تشريفاً له بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: من الآية ٧٥) أضاف طردَ عَدُوّه إليه أيضاً زيادة في كرامته.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر: من الآية٤٤) وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: من الآية٧١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (الحجر:٧٣) وقال في هود: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ (هود: من الآية٨١).

تقدم في هود.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر:٧٥) وقال بعده: ﴿لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: من الآية٧٧).

جوابه: أن قصة إبراهيم ولوط اتفق فيها آيات متعددة من إرسال الملائكة إليهما، وما جرى بينهم من المحاورة، وبين لوط وقومه وكيفية هلاكهم؛ فلذلك جمع، وقصة [عاد] وهلاكهم هنا آية واحدة فلم يذكر سواه فأفرد الآية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:٩٢) ، وقال في القصص: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ﴾ (القصص: من الآية٧٨)، وفي الرحمن قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ (الرحمن:٣٩).

جوابه: قيل: في القيامة مواقف عدة؛ ففي بعضها يَسأل، وفي بعضها لا يَسأل، وقيل: لنسْألَنَّهم لِمَ عملوا ولا يُسألون ماذا عملوا لأنه أعلم بذلك، وقيل: لنسألنهم سؤال توبيخ ولا يُسأل عن ذنبه سؤال استعلام.

[١٦] سورة النحل

مسألة: قوله تعالى: ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: من الآية١١) وقال بعده: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: من الآية١٢) وبعده: ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: من الآية١٣).

جوابه: أما آية ﴿لآيَاتٍ﴾ (النحل: من الآية١٢) فلتعدد الآيات في الوسطى واتحادها في الأولى والثالثة وأما ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: من الآية١١) و﴿يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: من الآية١٢) فقد تقدَّم في سورة الرعد، وأما ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: من الآية ١٣) بالياء فلأن فائدة التفكُّر والتعقُّل هي التذكر بما خُلِق ذلك له، وهو معرفة الله سبحانه وتعالى.

مسالة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النحل: من الآية ١٤)، وفي فاطر: ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ (فاطر: من الآية١٢).

جوابه: أن آية النحل سيقت لتعداد النعم على الخلق بدليل تقويم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ (النحل: من الآية١٤)،وآية فاطر سيقت لبيان القدرة والحكمة بدليل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر:١١)، فتكرر منه في النحل لتحقيق المنَّة والنعمة ، ولذلك عطف ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ (النحل: من الآية١٤) بالواو العاطفة لمناسبة تعدُّد النعم، كما تقدم، وقدم ﴿مَوَاخِرَ﴾ (النحل: من الآية١٤) على ﴿فِيهِ﴾ (النحل: من الآية١٤) لأنه امتنَّ عليهم بتسخير البحر؛ فناسب تقديم ﴿مَوَاخِرَ﴾ (النحل: من الآية١٤)، أي شاقة للماء، وأيضاً لِيَلي المفعول الثاني المفعول الأول لـ﴿وَتَرَى﴾ (النحل: من الآية١٤) فإنه أولى من تقديم الظرف، وأمَّا آية فاطر فحذف منه لدلالة، ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: من الآية١٤) عليها، وقدَّم ﴿فِيهِ﴾ (النحل: من الآية١٤) على ﴿مَوَاخِرَ﴾ (النحل: من الآية١٤) لأن شق الفلك الماء بجريانه فيه آيةٌ من آيات الله تعالى، فالتقدُّم فيه أنسب للفلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (النحل: من الآية٢٩) هنا، وفي الزمر ﴿فَبِئْسَ﴾ (الزمر: من الآية٧٢) بحذف اللام.

جوابه: لما تقدم هنا شدة كفر المذكورين من صدّهم وضلالهم وإضلالهم؛ ناسب ذلك التأكيد بذكر اللام، ولذلك لمَّا أكد في ذكر أهل النار أكد في ذكر أهل الجنة بقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: من الآية٣٠) وآية الزمر خالية من ذلك فلم يؤكد فيها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ (النحل: من الآية٤٨) أفرد اليمين وجمع الشمائل.

جوابه - والله أعلم -: أن الآية نزلت بمكة والظلُّ فيها إلى جهة اليمين وهو يمين الكعبة مدة قليلة وهو قليل أيضاً ما يكون، والظل إلى جهة الشام وهو شمال الكعبة تطول مدته، وتكثر مساحته؛ فناسب إفراد اليمين لقلة مسافته ومدته، وجمع

الشمائل لطول مدته ومسافته، وقيل فيه غير ذلك، وهذا أنسب ما قيل فيه. والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ (النحل: من الآية٥٥) وفي العنكبوت ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ (العنكبوت: من الآية٦٦).

جوابه: أن آيات النحل والروم للمخاطبين فجاءت بغير ((لام)) وفي العنكبوت للغائبين؛ فناسب ذكر((اللام)) فيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ (النحل: من الآية٦١)، وفي فاطر: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ (فاطر: من الآية٤٥)، وقال: ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾ (فاطر: من الآية٤٥).

جوابه: أن آية النحل جاءت بعد أوصاف الكفار بأنواع كفرهم في اتخاذهم إلهين اثنين وكفرهم وشركهم في عبادة غير الله سبحانه، وجعلهم للأصنام نصيباً من مالهم، ووأد البنات وغير ذلك، وكل ظلمٍ منهم ناسب قوله تعالى: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ (النحل: من الآية٦١)، ولم يتقدم مثل ذلك في فاطر، وأما ﴿عَلَيْهَا﴾ (النحل: من الآية٦١) – المراد الأرض - فإنه شائع مستعمل كثير في لسان العرب لظهور العلم به بينهم ولكراهية أن يجتمع ظاءان في جملتين معاً، مع ثقلهما على لسانهم؛ لأن الفصاحة تأباه، ولم يتقدم في فاطر ذلك فقال: ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾ (فاطر: من الآية٤٥)، مع ما فيه من تفنن الخطاب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ (النحل: من الآية٦٦) وفي المؤمنون: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ (المؤمنون: من الآية٢١).

جوابه: أن المراد في آية النحل البعض وهو الإناث خاصة؛ فرجع الضمير إلى البعض المقدَّر، ودليله تخصيص الآية باللبن وهو الإناث خاصة، وآية سورة المؤمنين عامة للجميع، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ...﴾ (المؤمنون: من الآية٢١) الآيات، فعمَّ الذكر والأنثى كما عمهما لفظ الإنسان قبله.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ (النحل: من الآية٧٠) وقال

في الحج: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ (الحج: من الآية٥) بزيادة ﴿مِنْ﴾ (الحج: من الآية٥).

جوابه: أنَّ ﴿بَعْدِ﴾ (الحج: من الآية٥) يستغرق الزمان المتعقب للعلم من غير تعيُّن ابتداء أو انتهاء، فلما أتى ما قبل آية النحل مجملاً جاء بعده كذلك مجملاً وفي الحج أتى ما قبلها مفصَّلاً من ابتدائه بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ (الحج: من الآية٥) إلى آخره بعده كذلك مفصلاً من ابتدائه مناسباً لما تقدمه من التفصيل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هم يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: من الآية ٧٢) بزيادة ﴿هُم﴾، وفي العنكبوت ﴿يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٧) بغير ﴿هم﴾.

جوابه: ما تقدم أن آية النحل سياقها للمخاطبين مُتَّصلٌ بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً...﴾ (النحل: من الآية٧٢) الآية، ثم عَدَلَ إلى الغيبة بقوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: من الآية٧٢)؛ فناسب: ﴿هم﴾ توكيداً للغيبة كي لا تلتبس الغيبة بالخطاب، وآية العنكبوت للغائبين؛ فناسب حذف ﴿هم﴾ لعدم اللبس.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ (النحل: من الآية٧٩) الآية، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ﴾ (النحل: من الآية٧٩) وظاهرة آية واحدة، كما تقدم قبل ذلك.

جوابه: أنه لما ختم الآيات المذكورة في هذه السورة بهذه الآية، كانت هي وما قبلها آيات، فتكون الإشارة بذلك إلى مجموع ما تقدَّم من الآيات. والله أعلم.

[١٧] سورة بني إسرائيل [الإسراء]

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ (الإسراء: من الآية٢٨) ما فائدة الشرط والرد الجميل مطلوب مطلقاً؟

جوابه: أن المراد به الوعد بالعطاء عند رجاء حصول الخير؛ لأنه أطيب لنفس السائل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ (الإسراء: من الآية ٤١) وبعدها: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: من الآية٨٩) وفي الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ (الكهف: من الآية٥٤).

جوابه: مع ما تقدم من تنويع الكلام للفصاحة والإعجاز أن الأولى وردت بعدما تقدم من الآيات من الوصايا والعِظات والتخويفات؛ ولذلك قال: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ (الإسراء: من الآية٤١) أي يذكروه فيعلموا به، والثانية وردت بعد أفعال وأقوال من قوم مخصوصين: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ (الإسراء: من الآية٧٣)، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ (الإسراء: من الآية٧٦)، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ....﴾ (الإسراء: من الآية٨٨) الآية؛ فناسب تقديم ذكر الناس لقيام الحُجَّة عليهم بعجزهم عن الإتيان بمثله، ولذلك جاء بعده: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ (الإسراء: من الآية٩٠)، وأمَّا آية الكهف فوردت بعد ذكر إبليس وعداوته وذم اتخاذه وذريته أولياء فناسب تقدم ذكر القرآن الدالِّ على عداوته ولعنه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ (الإسراء: من الآية٦٤) وذلك من إبليس معصية وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الأعراف: من الآية٢٨).

جوابه: أنه تهديد لا أمر طاعةٍ، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ (المرسلات: ٤٦)، والمعنى: شاركهم في الإثم لا في المال.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٦٨) أي يقوم مقامكم في دفع ذلك عنكم، وقوله تعالى: ﴿تَبِيعاً﴾ (الإسراء: من الآية٦٩) أي تبيعاً في المطالبات عن إهلاككم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (الإسراء: من الآية٧٥) في دفع ذلك، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٨٦) يرد عليك ما تذهب به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الإسراء: من الآية٨٩) والمذكور بعض الأمثال.

جوابه: أن المراد: من كل مثل يُحتاج إليه من أمر الدنيا والدين، أو يكون عاماً مخصوصاً كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٢٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ (الإسراء:٩٤) وقال تعالى في الكهف: ﴿إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ (الكهف: من الآية٥٥) فحصر في آية سبحان غير ما حصر في آية الكهف.

جوابه: أن آية سبحان إشارة إلى المانع العادي وهو استغرابهم أن بعث الله بشراً رسولاً، وآية الكهف دلَّت على المانع الحقيقي وهو إرادة الله سبحانه وتعالى إهلاكهم، وتقدير الآية: إلا إرادة الله هلاكهم لما سبق في علمه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الإسراء: من الآية٩٦) وفي العنكبوت: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ (العنكبوت: من الآية٥٢).

جوابه: أنه لما وصف ﴿شَهِيداً﴾ (العنكبوت : من الآية٥٢) بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ (العنكبوت: من الآية٥٢)؛ ناسب تأخيره لتتبع الصفة موصوفها ولا يحول بينهما حائل، وليس هنا - ولا في أمثالها - صفة بشهيد فجاء على القياس في غير ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (الإسراء: من الآية٩٦)، ﴿كفى بالله وكيلاً﴾.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (الإسراء: من الآية٩٧) ومعنى ﴿خَبَت﴾: سَكَنَتْ، وقال في الزخرف: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ...﴾ (الزخرف: من الآية٧٥) الآية.

جوابه: لا يلزم من سكون النار نقص العذاب بها إما لبقاء حرِّها أو لعذابهم عند ذلك بالزمهرير، ولا يُفتَّر عنهم العذاب إما بحرها أو زمهريرها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ﴾ (الإسراء: من الآية٩٩) وفي يس والأحقاف: ﴿بِقَادِرٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٣).

جوابه: أن ﴿بِقَادِرٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٣) هنا خبر ((أن)) المثبتة فلم تدخله الباء، وفي يس هو خبر ((ليس)) النافية فدخلت الباء في خبرها ، وفي الأحقاف لما

أكد النفي بنفي ثانٍ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٣)؛ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَادِرٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٣).

[١٨] سورة الكهف

مسألة: قوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ (الكهف: من الآية١٥) وظاهرة إفرادهم لها بالعبادة دونه تعالى، وقال تعالى بعده: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إلا اللَّهَ﴾ (الكهف: من الآية١٦) فاستثنى الربَّ سبحانه من معبوداتهم.

جوابه: أن ﴿اتَّخَذُوا﴾ (الكهف: من الآية١٥) للماضي وكانوا مفردين لهم في العبادة، و﴿يَعْبُدُونَ﴾ (الكهف: من الآية١٦) للاستقبال وقد يعبدون الله تعالى في المستقبل، وكذلك كان الواقع؛ فَصَحَّ الاستثناء أدباً وتحرُّراً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾ (الكهف: من الآية٢٢) وقال: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: من الآية٢٢) بزيادة الواو.

جوابه: من وجهين: الأول: أن الواو عاطفة على فعل مقدَّر معناه: صدقوا وثامنهم كلبهم، والثاني: أن كل واحد من القولين المتقدِّمين بعده قول آخر في معناه، فكأن الكلام لم ينقضِ، والثاني غاية ما قيل وليس بعده قول آخر؛ فناسب ذلك مجيء الواو العاطفة المُشْعِرة بانقضاء الكلام الأول والعطف عليه، وما يقال هاهنا أنه من واو الثمانية؛ فكلام فيه نظر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (الكهف: من الآية٣١) وكذلك في الزخرف[1]، وقال تعالى في هل أتى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ (الإنسان: من الآية٢١)..

جوابه: من وجوه:

أحدها: أن الضمير للولدان في الإنسان، وفي الكهف والزخرف للعباد.

الثاني: أنهم يُحلَّون بهما؛ فجمع لأهل الجنة التحلِّي بالذهب والفضة.

---

(١) ليس في الزخرف آية بهذا النص أو المعنى.

الثالث: أن الأمزجة مختلفة في ذلك في الدنيا؛ فمنهم من يُؤْثِر الفضة، فعوملوا في الجنة بمقتضى ميلهم في الدنيا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ (الكهف: من الآية٣٦)، وفي حم السجدة: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ (فصلت: من الآية٥٠).

جوابه: بعد تنويه الخطاب: أن في لفظ ((الرد)) من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ ((الرجوع)) فلما كان صاحب آية الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقته لها أشد على النفس من مفارقته صاحب ((حم السجدة)) لما كان فيه؛ لأنه لم يبالغ في وصف ما كان فيه كما بالغ صاحب آية الكهف؛ فناسب ذلك لفظ ((الرد)) هنا ولفظ ((الرجوع)) ثمّة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً﴾ (الكهف: من الآية٤٨)، وقال في القمر: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (القمر: من الآية٧).

جوابه: الأول عند السؤال، والثاني عند خروجهم من القبور وحشرهم إلى القيامة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (الكهف: من الآية ٥٧) وقال في السجدة: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (السجدة: من الآية٢٢) هنا بالفاء وثَمَّ بـ﴿ثُمَّ﴾ (السجدة: من الآية٢٢).

جوابه: الإعراض إما مصادمة ورد بالصدر من غير مهلة، وإما أن يكون عن مهلة وروية، فلما تقدم في الكهف: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ...﴾ (الكهف: من الآية٥٦) الآية؛ ناسب ذلك الفاء المؤذنة بالتعقيب بالإعرض منهم عند مجادلتهم ودحضهم الحق، ولم يتقدم مثل ذلك في السجدة بل قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ (السجدة: من الآية٢٠) أي استمروا على فسقهم؛ فناسب ذلك: ﴿ثُمَّ﴾ (السجدة: من الآية٢٢) المؤذنة بالتراخي.

مسألة: قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ (الكهف: من الآية٦١) والناسي فتاه بدليل: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ (الكهف: من الآية٦٣)، وقوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ (الكهف: من

الآية٦٢).

جوابه: أن النسيان بمعنى الترك؛ فمن موسى عليه السلام ترك التفقد، ومن فتاه الذُّهول عنه، أو النسيان منهما في مجمع البحرين، ومن فتاه لما جاوزا ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ (الكهف: من الآية٧١) وبعده: ﴿جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ (الكهف: من الآية٧٤) ما معناهما؟

جوابه: أن ((الإمر)) ما يُخشى منه، و((النُّكرَ)) ما تنكره العقول والشرائع، والسفينة لم تغرق وإنما عابها وخُشي منه، وقَتْلَ الغلام إعداماً له بالكلية؛ فناسب كل لفظ مكانه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ (الكهف: من الآية٧٢) وقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ (الكهف: من الآية٧٥).

جوابه: أن الخضر قصد بالأولى تذكير موسى- عليه السلام- بما شرط عليه، فخاطبه بلطف وأدب معه، وفي الثانية كَرَّر موسى الإنكار عليه فشدَّد الخضر عليه وأكد القول بقوله: ﴿لَكَ﴾ (الكهف: من الآية٧٥) لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: من الآية٧٩) وقال بعده: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ (الكهف: من الآية٨١) وقال في الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ (الكهف: من الآية٨٢).

جوابه: أن هذا حُسْنُ أدبٍ من الخضر مع الله تعالى؛ أما في الأول فإنه لما كان عيباً نسبه إلى نفسه، وأما الثاني: فلما كان يتضمن العيب ظاهراً وسلامة الأبوين من الكفر ودوام إيمانهما باطناً قال: أردنا كأنه قال: أردت أنا القتل وأراد الله سلامتهما من الكفر وإبدالهما خيراً منه، وأما الثالث: فكان خيراً محضاً ليس فيه ما يُنكَر لا عقلاً ولا شرعاً؛ فنسبه إلى الله وحده فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ (الكهف: من الآية٨٢).

مسألة: قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف: من الآية٧٨)، ثم قال: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف: من الآية٨٢)، وقال في قصة [ذي] القرنين: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾

(الكهف:٩٧).

جوابه: أنه تقدم أولاً: ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾ (الكهف: من الآية٨٢) فخفف الثاني لدلالة الأول عليه. وفي قصة ذي القرنين إنَّ تعلق الفعل بالمفعول المفرد أَخفُّ من تعلقه بالمركب و﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ (الكهف: من الآية٩٧) مفعول مركب؛ فناسب التخفيف، و﴿نَقْباً﴾ (الكهف: من الآية٩٧) مفعول مفرد فكَمَّل لفظ الفعل معه لعدم المقتضي للتخفيف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: من الآية٨٦) ظاهرة أنه مكان معيَّن لغروبها، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ...﴾ (الرحمن:١٧) الآية، ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافات: من الآية٥) وهو المعروف للشمس.

جوابه: أنه معين بالنسبة إلى ذلك المكان وذلك إلزام لا بالنسبة إلى سائر الأزمنة والأقطار كما يقول: غابت في البحر وإنما هي في السماء، وإنما هو بالنسبة إلى نظرك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (الكهف: من الآية١٠٦) وفيما قبله من هذه السورة: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (الكهف: من الآية١٠٦).

جوابه: أن الآية الأولى تقدمها: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف: من الآية٥٤)وقوله تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ (الكهف: من الآية٥٦)؛ فناسب ذلك: ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ (الكهف: من الآية٥٦) والآية الثانية تقدَّمتها قصة موسى والخضر وذي القرنين وسؤال اليهود ذلك؛ فناسب: ﴿وَرُسُلِي﴾ (الكهف: من الآية١٠٦).

جواب آخر : أن المراد تنويع كفر الكفار؛ لأنه إما بالرسل كقولهم: ساحر كاهن، أو بما جاءوا به كقولهم: ﴿سِحْرٌ مُفْتَرىً﴾ (القصص: من الآية٣٦) و﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ (المؤمنون: من الآية٢٤) وشبه ذلك.

[١٩] سورة مريم

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ (مريم: من الآية٨) ما وجه قوله ذلك مع أنه قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾ (مريم: من الآية٥)، فسؤاله مُؤذِن بإمكانه عنده، وقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي﴾ (مريم: من الآية٨) مؤذن بإحالته عادة.

جوابه: أنه يكون بين سؤاله وبشارته بالولد بإحالته أربعون سنة.

مسألة: قوله تعالى في يحيى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ (مريم: من الآية١٤)، ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ﴾ (مريم: من الآية١٥)، وفي عيسى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً، وَالسَّلامُ عَلَيَّ﴾ (مريم: من الآيتين ٣٢، ٣٣).

جوابه: أن الأول إخبار من الله تعالى ببركته وسلامه عليه، والثاني إخبار عيسى عن نفسه؛ فناسب عدم التزكية لنفسه بنفي المعصية أدباً مع الله تعالى، وقال: ﴿شَقِيّاً﴾ (مريم: من الآية٣٢) أي بعقوق أُمّي، أو بعيداً من الخير. وقوله: ﴿وَالسَّلامُ﴾ (مريم: الآية٣٣) معرَّفاً أي: السلام المتقدم على يحيى عليَّ دائماً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ (مريم: من الآية٢٣) وقد تقدم قول الملك: ﴿لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ (مريم: من الآية١٩) ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (مريم: من الآية٢١) فكيف قالت ذلك بعد علمها به؟

جوابه: لم تقُله كراهية له، بل لما يحصل لها من الخجل عند قومها، بخروج ذلك عن العادة والوقوع فيها.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: من الآية٣٧) وقال في الزخرف: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية ٦٥).

جوابه: أن آية مريم تقدمها وصف الكفار باتخاذ الولد وهو كفر صريح؛ فناسب وصفهم بالكفر، ولم يَرِدْ مثل ذلك في الزخرف بل قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾ (الزخرف: من الآية٦٥)؛ فوصفهم بالظلم لاختلافهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ (مريم: من الآية٤١)، في إبراهيم وإدريس وفي موسى: ﴿رَسُولاً نَبِيّاً﴾ (مريم: من الآية٥١) وفي إسماعيل: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ (مريم: من الآية٥٤) ما وجه تخصيص كل منهم بما وُصِفَ به وكلّ منهم كذلك؟

جوابه: أما إبراهيم- عليه السلام - فلعلَّ المبالغة في صدقه لنفي ما تُوهِّم منه في الثلاثة التي ورَّى بها، وهي: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصافات: من الآية٨٩) ولسارة: هي أختي، و﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ (الأنبياء: من الآية٦٣)، وأمَّا موسى - عليه السلام - فلأنه أخلص نفسه لله في منابذة فرعون مع ملكه وجبروته وفي غير ذلك، وأما إسماعيل - عليه السلام - فلصدق قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: من الآية١٠٢) وَوَفَّى بوعده فصَدَقَ في قوله، وقيل: إنه وعد إنساناً إلى مكان فوفى له وانتظره مدة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (مريم: من الآية٤٥) ومناسبة مسِّ العذاب: الجبار المنتقم وما فائدة تكرار ذكر: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ (مريم: من الآية٤٥) في هذه السورة أكثر من غيرها؟

جوابه: أما قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (مريم: من الآية٤٥) ففيه تعظيم أمر الكفر الذي كان عليه أبوه؛ لأن مَنْ عظُمَتْ رحْمَتُه وعَمَّت لا يُعذِّب إلا على أمر عظيم بالغ في القبح، فنبه على عظَم ما عليه أبوه من الكفر، ورجاء قبول توبته من الرحمن، وأمَّا تكرار لفظ الرحمن في هذه السورة فقد يجاب بأنَّه لما افتتح أول السورة بقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (مريم:٢) نبه بتكرار لفظ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ (مريم: من الآية٤٥) الذي هو بصيغة المبالغة على عِظم رحمته وعُمومها، وأن ذلك ليس خاصاً بأنبيائه وأوليائه وخواصه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ (مريم: من الآية٧١) وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (الأنبياء: من الآيتين ١٠١، ١٠٢).

جوابه: أن ورود المؤمنين الجواز بالصراط، والكفار والعصاة يدخلونها، أو أن الخطاب لمن تقدم ذكرهم في قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾ (مريم: من الآية٦٩). إلى قوله: ﴿صِلِيّاً﴾ (مريم: من الآية٧٠).

[٢٠] سورة طه

مسألة: قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه:٤) وفي غيره من المواضع: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ﴾ فبدأ بالسماوات.

جوابه: أما أولاً فلموافقة رؤوس الآي، ولأنه الواقع؛ لأن خلق الأرض قبل السماء، وأيضاً لما ذكر أن إنزال القرآن تذكرةً لمن يخشى؛ وهم سكان الأرض؛ ناسب ذلك البداءة بالأرض التي أُنزل القرآن تذكرةً لأهلها، وأما البداءة بالسماوات فلشرفها وعظمها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ (طه: من الآية١٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (الأعراف: من الآية١٨٧) فظاهر قوله تعالى: ﴿آتِيَةٌ﴾ (طه: من الآية١٥) أكاد أن أُظهِرها، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (الأعراف: من الآية١٨٧) إخفاء لها.

جوابه: أن معناه: أكاد لشدة الاعتناء بإخفاء وقتها أن أخفي علمها ووقوعها عن الخلق، وهذا قد أظهره للخلق بقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ (طه: من الآية١٥) دليل على أن المراد: أكاد أُخفي إتيانها، وقوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (الأعراف: من الآية١٨٧) أي حقيقة وقتها بعينه؛ لأن ذلك مما اختص الله تعالى به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى، قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ (طه: من الآيتين٦٥،٦٦) والسحر حرام فكيف أمرهم به مع عصمته؟

جوابه: أنَّه لما كان إلقاؤهم سبباً لظهور معجزته وصدق دعوى نبوته؛ صار حسناً بهذا الاعتبار، وخرج عن كونه قبيحاً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه:٧٩) ما فائدة قوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾ (طه: من الآية٧٩) وهو معلوم من قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ (طه:

من الآية٧٩)؟

جوابه: التصريح بكذبه في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: من الآية٢٩) والتهكم به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: من الآية ٨٢) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧). فالاهتداء هنا مؤخر عن الإيمان والعمل الصالح، وفي الآية الأخرى مقدَّم عليها.

جوابه: أن المراد بقوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: من الآية٨٢) أي دام على هدايته؛ كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)أي ثبتنا عليه وأدمنا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: من الآية١٢٤) وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ (الإسراء: من الآية١٤) وقال: ﴿وَرَأى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ (الكهف: من الآية٥٣) فظاهره يدل على الإبصار.

جوابه: أن القيامة مواطن؛ ففي بعضها يكون عميٌ وفي بعضها إبصارٌ، ويختلف ذلك باختلاف أهل الحشر فيه، والله أعلم.

[٢١] سورة الأنبياء

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ (الشعراء: من الآية٥)، وقال في الشعراء: ﴿مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الشعراء: من الآية٥).

جوابه: لما تقدَّم هنا ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء: من الآية١) وذكر إعراضهم وغفلتهم وهو وعيد وتخويف؛ فناسب ذكر الرب المالك ليوم القيامة، المتولي ذلك الحساب، وفي الشعراء تقدَّم: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ (الشعراء: من الآية٤) لكن لم يفعل ذلك، لعموم رحمته للمؤمنين والكافرين، لم يشأ ذلك تكرير قوله تعالى في السورة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٩).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ (الأنبياء: من الآية٣٢) ثم

قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية٣٣) والسقف: المستوى، والفلك: هو المستدير.

جوابه: أن السقف لا يلزم منه الاستواء؛ بل يقال لكل بناءٍ عالٍ على هواء سقف، سواء كان مستوياً أم مستديراً كقولهم سقف الخباء وإن كان مستديراً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: من الآية٣٤) وقال في إدريس وعيسى- عليهما السلام- أنه رفعهما إليه فهما حيان باقيان وهما من البشر.

جوابه: أن المراد من الخلد في الدنيا التي هي عالم الفناء المعهود عندهم، ولإدريس وعيسى- عليهما السلام- في عالم آخر غير المعهود عندهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية ٤٥) في النمل والروم: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: من الآية ٨٠) والصمم كافٍ، فما فائدة ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: من الآية٨٠)؟

جوابه: أن آية الأنبياء نسب فيها السماع إليهم؛ فلم يُحْتَجْ إلى توكيد ومبالغة فيه؛ ولذلك قال: ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية٤٥) أي يتشاغلون عن سماعه، فهم كالصم الذين لا يسمعون، وفي آية الروم والنمل نسب الإسماع إلى النبي ﷺ؛ فبالغ في عدم القدرة على إسماعهم بقوله تعالى: ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: من الآية ٨٠) لأن المولي عن المتكلم أجدر بعدم القدرة على إسماعه من الماكث عنده؛ ولذلك شبَّههم بالمولّي، وفيه بسط عذر النبي ﷺ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء:٧٠) وقال تعالى في الصافات: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: من الآية٩٨).

جوابه: أنهم أرادوا كيده بإحراقه فَنَجَّاه الله تعالى وأهلكهم، وكسر أصنامهم فخسروا الدنيا والآخرة، وفي الصافات: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ﴾ (الصافات: من الآية٩٧) أي من فوق البناء في الجحيم؛ فناسب ذكر الأسفلين لقصدهم العلو لإلقائه في النار. والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (الأنبياء: من الآية

٨١) وقال في سورة ص: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ (ص: من الآية٣٦) والعاصفة: الشديدة، والرخاء: الرخوة.

جوابه: أنها كانت رخوةً طيبة في نفسها، عاصفة في مرورها كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ: من الآية١٢)، أو أن ذلك كان باعتبار حالين على حسب ما يأمرها سليمان - عليه السلام -.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (الأنبياء: من الآية٩١) وفي التحريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (التحريم: من الآية١٢).

جوابه: أن لفظ التذكير عند العرب أَخَفُّ من التأنيث، وها هنا لم يتكرر لفظ التأنيث كتكريره في التحريم فجاء فيها مؤنثاً، وفي التحريم تكرر لفظ التأنيث بقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ﴾ (التحريم: من الآية١٢) و﴿ابْنَتَ﴾ (التحريم: من الآية١٢) و﴿أَحْصَنَتْ﴾ و﴿فَرْجَهَا﴾ ؛ فناسب التذكير تخفيفاً من زيادة تكرر التأنيث.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: من الآية٩٢)، ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ (الأنبياء: من الآية٩٣)، وفي المؤمنين: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: من الآية ٥٢)، ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ (المؤمنون: من الآية٥٣).

جوابه: أما قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: من الآية٢٥) فلأنه خطاب لسائر الخلق؛ فناسب أمرهم بالعبادة والتوحيد ودين الحق، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: الآية٥٢) خطاب للرسل؛ فناسب الأمر بالتقوى، ويؤيده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: من الآية٢١)، و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: من الآية١)، وأما الواو والفاء؛ فلأن ما قبل الواو لا يتعلق بما بعدها، وما قبل الفاء متعلق بما بعده؛ لأن ذكر الرسل يقتضي التبليغ ولم يسمعوا، فكأنه قيل: بلغهم الرسل دين

الحق فتقطعوا أمرهم؛ ولذلك قيل هنا: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية٩٣) وفي المؤمنين: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ (المؤمنون: من الآية٥٣) أي من الخلاف بينهم ﴿فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية٥٣).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية١٠٠) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر: من الآية٤٧) وقال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (الشعراء:٩٦) إلى غير ذلك مما يدل على سماعهم.

جوابه: لعل ذلك باعتبار حالين: فحال السماع والمُحَاجَّة والمخاصمة قبل اليأس من الخلاص من النار، وحال اليأس لا يسمعون؛ لما روي أنهم يُجعلون في توابيت من نار ويُسَدُّ عليهم أبوابها فحينئذ لا يسمعون.

[٢٢] سورة الحج

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ (الحج: من الآية٢) ثم قال: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: من الآية٢).

جوابه: إن الزلزلة عامة في وقت واحد؛ فيدركها الكل إدراكاً واحداً فقال: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ (الحج: من الآية٢) ورؤية السكارى مختصة بكل إنسان بنفسه، فيراهم هذا في وقت وهذا في وقت، فقال: وترى أيها الرائي.

مسألة: قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج: من الآية٢) إن كان المراد بالزلزلة نفس البعث والساعة فلا حملَ حينئذ ولا رضاع، وإن كان غير الساعة فما هو؟

جوابه: اختلف في ذلك، فقيل: هو رجفة عظيمة عند نفخة الصعق، وقيل: عند طلوع الشمس من مغربها، وهذا جواب ظاهر، وقيل: هو نفس قيام الساعة، والمراد التمثيل بأنَّ الحال كذلك لو كان حملاً أو إرضاعاً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ (الحج: من الآية٢).

جوابه: أنهم سكارى من الدهش لتلك الأهوال، وما هم بسكارى من الشراب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ (الحج: من الآية١٨)، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: من الآية١٨) وقد دخلوا فيمن في الأرض.

جوابه: أن السجود المذكور أولاً سجود الخضوع والانقياد لأمره وتصرفه، وهو من الناس سجود العبادة المعهود.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج: من الآية٢٢)، وفي السجدة ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة: من الآية٢٠).

جوابه: لما تقدم تفاصيل أنواع العذاب؛ ناسب قوله: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ (الحج: من الآية ٢٢) أي من الغموم المذكورة، وهي ثبات أهل النار، وصبُّ الحميم في رؤوسهم... إلى آخره، ولم يذكر في السجدة سوى: ﴿مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ (يونس: من الآية٨)؛ فناسب سقوط ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ (الحج: من الآية٢٢)واقتصر على ﴿مِنْهَا﴾ (الحج: من الآية٢٢) ولذلك وصف أنواع نعيم الجنة لمقابلة ذكر أنواع عذاب النار، واقتصر في السجدة فيه، كما اقتصر فيها على مقابله.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ (الحج: من الآية٣٤) وقال في آخر السورة: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً﴾ (الحج: من الآية٦٧) بغير واوٍ.

جوابه: أن الأولى تقدمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحُسن فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدمها ما يناسبها؛ فجاءت ابتدائية، وبيان

ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨)، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج:٣٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (الحج: من الآية٤٠) وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (محمد: من الآية٤) وأشباه ذلك كوقعة أحد وحُنين وبئر معونة [١].

جوابه: أن ناصر دين الله بإحدى الحسنيين، أو أنه النصر في العاقبة، أو هو عام مخصوص كغيره من العمومات المخصوصة - والله أعلم -.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ (الحج: من الآية٤٥) بالفاء، وقال تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ (الحج: من الآية٤٥)، ثم قال: ﴿وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ (الحج: من الآية٤٨)، بالواو، وقال: ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ (الحج: من الآية٤٨).

جوابه: أن الفاء في الأولى بدل من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الحج: من الآية٤٤) فهو كالتفسير للنكرة، والواو في الثانية عطف على الجمل قبلها، ولما قال قبل الأولى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ﴾ (الحج: من الآية٤٤)؛ أغنى ذكر الإملاء فيما

---

(١) بئر معونة: تقع بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وعندها نزل المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك في السنة الرابعة من الهجرة. انظر/ تاريخ الطبري (٣٣/٣).

بعد، ولأن الإهلاك إنما هو كان بعد الإملاء المذكور، ولما تقدم في الثانية: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ (الحج: من الآية٤٧)؛ ناسب: ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ (الحج: من الآية٤٨) أي لم أعجل عليهم عند استعجالهم العذاب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الحج: من الآية٥٠) وقال تعالى بعده: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الحج: من الآية٥٦)، وكلاهما للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

جواب: لما تقدم ذِكر الإنذار في الأولى وهو في الدنيا ذَكَرَ جزاء إجابته في الدنيا وهو: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الحج: من الآية٥٠)، ولما تقدم في الثانية ذكرُ العقاب بقوله تعالى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج: من الآية٥٥) وهو يوم القيامة؛ ناسب ذلك ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الحج: من الآية٥٦)، أي في يوم القيامة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (الحج: الآية٦٢) وفي لقمان بحذف ﴿هُوَ﴾.

جوابه: أن آية الحج تقدمتها جُمَلٌ عِدة مؤكدات باللام والنون والهاء والواو؛ فناسب توكيد هذه الجملة كأخواتها تبعاً لهن، ولم يتقدم في لقمان مثل ذلك، ولذلك جاء في الحج بعدها: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج: من الآية٦٤) وفي لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (لقمان: من الآية٢٦).

[٢٣] سورة المؤمنون

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون:١٣)، عطف الأولين بـ((ثم)) والثلاثة الأُخر بالفاء.

جوابه: أن الإنسان آدم، والمجعول: بَنوه بعده، والمراد: الجنس؛ لأن آدم-

عليه السلام - لم يكن نطفةً قط، ثم ذكر خلقه بعده من النطفة كما ذُكِرَ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: من الآية١٤) وظاهره الاشتراك في الخلق، وفي فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (فاطر: من الآية٣).

جوابه: أن المراد بالخلق: التقدير، ويطلق الخلق على التقدير لغة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ (العنكبوت: من الآية١٧)، لكن عند الإطلاق يُختصُّ بالله تعالى، كالربِّ يطلق على ربِّ المال والدار، وعند الإطلاق لله تعالى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (المؤمنون: الآية٢٤)، وقال تعالى بعده في قصة هود: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المؤمنون: من الآية٣٣)، فقدم الجارَّ والمجرور ثانياً.

جوابه: أن الجار في قصة نوح - عليه السلام - جاء بعد تمام الصلة والانتقال إلى المقول فما وصل بين متلازمين، ولو أَخَّره في قصة هود - عليه السلام - لفصل بين الصلة وتمامها المعطوف عليها؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا﴾ (المؤمنون: من الآية ٣٣) من تمام الصلة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون: من الآية٤١) معرَّفاً، وقال بعده: ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية٤٤) منكراً.

جوابه : أن القرن الأول معروف أنهم قوم هود لقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ (المؤمنون: من الآية٣١) وأول قرن بعد نوح: قوم هود، وقوله تعالى: ﴿قُرُوناً آخَرِين﴾ (المؤمنون: من الآية٤٢) غير معروفين بأعيانهم فجاء بلفظ التنكير بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية٤٤) لأن عدم الإيمان هو

الصفة العامة لجميعهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ (المؤمنون: من الآية٧١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون:٨٨)، فما وجه فسادهما باتباع الحق أهواءهم؟

جوابه: أي لو كان الحق كما يقولون من تعدد الآلهة لفسدت السماوات والأرض وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: من الآية٢٢).

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ (المؤمنون: من الآية ٨٣)، وفي النمل: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (النمل: من الآية٦٨) قدم ﴿نَحْنُ﴾ هنا، وأخَّره في النمل.

جوابه: لما تقدم هنا ذكر آبائهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾ (المؤمنون:٨١) وهم آباؤهم؛ ناسب ذلك تقديم المؤكد وهو ﴿نَحْنُ﴾ ليعطف عليه الآباء المُقَدَّم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعاً وهو ﴿هَذَا﴾ (النمل: من الآية ٦٨) وآية النمل لم يذكر فيها ﴿الأَوَّلِينَ﴾ (النمل: من الآية٦٨) بل قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (النمل:٦٧)؛ فناسب تقديم المفعول الموعود ثم ذكر المؤكد ليعطف عليه، ثم لم يذكر أولاً، وحاصله تقديم من تقدم ذكره أهم وأنسب، وتقديم المفعول الموعود وتأخير من لم يُذكَر- أهمُّ وأنسب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: من

الآية١٠١) وقال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (عبس:٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧).

جوابه: أنه لا أنساب بينهم تنفع كما كانت تنفع في الدنيا.

ووجه آخر: أن القيامة مواطن كما تقدم، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كلٍّ بنفسه، وفي بعضها ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧) .

[٢٤] سورة النور

مسألة: قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ (النور: من الآية٢) ثم قال: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ (النور: من الآية٣).

قدم الزانية أولاً، والزاني ثانياً.

جوابه: أن المرأة هي الأصل في الزنا غالباً لتزينها وتطميع الرجل بها. وقيل: لأن شهوة النساء أشدُّ من الرجال؛ فلذلك قدمها أولاً، وقدَّم الرجل ثانياً لأن الرجل هو الأصل في عقد النكاح لأنه الخاطب؛ فناسب ما ذكرناه تقديم النساء أولاً، والرجال ثانياً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً﴾ (النور: من الآية٣)، وقد يتزوج العفيف الزانية وعكسه.

جوابه: أنه منسوخ بآية النساء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (النور: من الآية٧) ثم قال: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ (النور: من الآية٩).

جوابه: إما التفنن في الخطاب لكراهة التكرار، أو لأن الغضب أشدُّ من اللعن؛ لأنه مُقدِّمة الانتقام، واللعن: الإبعاد المجرَّد، وقد لا ينتقم. وخصَّها بذلك لاحتمال كذبها؛ لِقلَّة عقلها ودينها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (النور:١٠)، وقال تعالى بعده: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: من الآية٢٠).

جوابه: أن الأولى تقدمها ذكر الزنا والجلد؛ فناسب ختمه بالتوبة حثًّا على التوبة منه، وأنها مقبولة من التائب، وناسب أنه حكيم؛ لأن الحكمة اقتضت ما قدمه من العقوبة، لما فيه من الزجر عن الزنا وما يترتب عليه من الفاسد، وأما الثانية فقوله تعالى: ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: من الآية٢٠) ذكره بعدما وقع به أصحاب الإفك؛ فبين أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك؛ ولذلك قال تعالى فيما تقدمه: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: من الآية ١٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ (النور: من الآية٣٤)، وقال تعالى بعده: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ (النور: من الآية٤٦) بحذف الواو، و﴿إِلَيْكُمْ﴾ (النور: من الآية٣٤).

جوابه: أن الأولى بعدما قدمه قبلها من المواعظ والآداب والأحكام؛ فناسب العطف عليه بالواو وإلى ثم ابتدأ كلاماً مستأنفاً بعدما قدَّمه من عظيم آياته بإرسال الرياح والمطر وإنزال الماء والرد في قوله تعالى: ﴿إِلَيْكُمْ﴾ (النور: من الآية٣٤) في الأولى دون الثانية؛ لأنه عقيب تأديب المؤمنين وإرشادهم فكأنها خاصة بهم، والثانية عامة لأن آيات القدرة للكل غير خاصَّة؛ ولذلك قال تعالى بعده: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: من الآية٤٦).

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ (النور: من الآية٥٨)، ثم قال بعده: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ (النور: من الآية٥٩).

جوابه: أن ذلك كما قدمناه مرات للتفنن لكراهة التكرار لما فيه من مجّ النفوس، وأيضاً قد يقال: لما قدم الأوقات التي يستأذن فيها، والاستئذان من أفعال العباد، وكذلك الآية الثالثة قال: ﴿الآياتِ﴾ (النور: من الآية٦١) أي العلامات على أحكامه تعالى، ولما قدم على الثانية بلوغ الأطفال - وهو من فعله تبارك وتعالى وخلقه لا من فعل العبد - نسب الآيات إلى نفسه فقال تعالى: ﴿آيَاتِهِ﴾ (النور: من الآية٥٩) لاختصاص الله تعالى بذلك.

[٢٥] سورة الفرقان

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾ (الفرقان: من الآية٣) وفي الرعد: ﴿نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾ (الرعد: من الآية١٦).

وقد تقدَّم جوابه في سورة الرعد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ (الفرقان: من الآية٤٩) وقال تعالى في سبأ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ (سبأ: من الآية١٥) ذكَّر الأول وأنَّث الثاني.

جوابه: أن التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة باعتبار معناه؛ كقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل: من الآية١٨) وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار:١) ، وأيضاً فإن ما لا روح فيه يقال فيه: ميت، وما فيه روح يقال له: ميتة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ (الفرقان: من الآية٥٥).

جوابه: قد يقال زائداً على ما قدَّمناه في يونس - عليه السلام - وغيرها أنه لما كان النفع بالإثبات أنسب لأنه مطلوب مطلقاً، والضر من باب النفي؛ لأنه يطلب نفيه عند حصوله، فالنفي فيه أنسب، ولما تقدَّم في أول السورة: ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ

يُخْلَقُونَ﴾ (الفرقان: من الآية٣) قدم النفي على الإثبات؛ فكان تقديم ما يناسب النفي أنسب لتناسب الجملتين، وهاهنا وفي الرعد لم يتقدم جملة تقدَّم نفيها على إثباتها؛ فكان تقديم ما هو من باب الإثبات أنسب مما هو من باب النفي. فإن قيل: فقد قدم الضر على النفع في سورة يونس - عليه السلام - قلنا: قد أجبنا ثَمَّ عن الموضعين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: من الآية٥٨) وفي الشعراء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء:٢١٧).

جوابه: أنه أشار هنا إلى الصفة التي يدوم معها نفع المتوكل عليه وهي دوام الحياة؛ لأن من يموت ينقطع نفعه، وأشار في آية الشعراء إلى الصفتين اللتين ينفع معهما التوكل، وهي العزة التي يقدر بها على النفع، والرحمة التي بها يوصله إلى المتوكل، وخصَّ آية الشعراء بختمها بذلك مع ما ذكرناه، أي على العزيز الرحيم الذي تقدَّم وصفه مرة بعد مرة في إنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الفرقان:٧٠)، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (الفرقان: من الآية٧١) ما معناهما حتى تكرر ذلك؟

جوابه: أنه من تاب فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه رجوعاً أيَّ رجوع.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: الآية٧٠)، وقال تعالى في مريم: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (مريم: من الآية٦٠).

جوابه: أنه ذكر هنا السبب في دخول الجنة وهي الحسنات، وذكر في مريم المسبب عن ذلك وهو دخول الجنة.

[٢٦] سورة الشعراء

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الشعراء: من الآية٥) وفي الأنعام والأنبياء: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (الأنبياء: من الآية٢)، ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ (الشعراء: الآية٦)، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ (الأنعام: من الآية٥).

تقدم ذلك في الأنعام، وأيضاً فتقدم قوله تعالى هنا: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ (الشعراء: من الآية٣) ناسب: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ (الشعراء: من الآية٦) أي لا تقتل نفسك فسيأتيهم أنباء ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء:٧)، وفي الأنعام ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ (الأنعام: من الآية٦) بحذف الواو.

جوابه: أن ذلك بالواو أشد إنكاراً فلما كان المرئيُّ إهلاك من قبلهم وهو أمر غائب غير مشاهد، وكان المرئي هنا إحياء الأرض، وإنبات أصناف النبات والشجر، وهو مرئي كل أوان، مشاهد بالحس، كان الإنكار بترك الاعتبار هنا أشد، فأتى بالواو الدالة على شدة الإنكار.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء: من الآية٢٠).

جوابه: المراد الضالين عن الصواب فيها، لا الضلال في الدين.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء:٥٨) وفي الدخان: ﴿وَزُرُوعٍ﴾ (الدخان: من الآية٢٦).

جوابه: أن كلا الأمرين تركوه؛ لأن مصر ذات زروع، والكنوز: قيل: ما كانوا يدَّخرونه من الأموال، وقيل: هي كنوز في جبل المقطم، وفيه نظر- والله أعلم-.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء:٥٩) وفي

الدخان: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الدخان: من الآية٢٨).

جوابه: أنه حيث قال: ﴿بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء:٥٩) ، فلعله لما سكنوها بعد مُدة طويلة من غرق فرعون وذلك لما تهود ملك مصر، وقيل: إن الضمير في ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ (الدخان: من الآية٢٨) راجع إلى النعم المذكورة، أي: أورثهم إياهم في الشام لا في مصر، وحيث قال: ﴿قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الدخان: من الآية٢٨) فهم قوم ملكوا مصر بعد فرعون وقومه، هذا هو الجواب الظاهر؛ فإنه لم يُنقل قط أنهم بعد غرق فرعون رجعوا إلى مصر، بل دخلوا في التيه ثم دخلوا الأرض المقدسة، وقيل: إنه لما بسط ذكر القصة هنا وسمي موسى وهارون - عليهما السلام -؛ ناسب تعيين بني إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر، ولما اختصر القصة في الدخان ولم يسمّ! موسى - عليه السلام - فيها بل قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (الدخان: من الآية١٧) فأتى باسمه مُبهَماً؛ ناسب ذلك الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهماً بقوله تعالى: ﴿قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الدخان: من الآية٢٨) وهذا على رأي من يجعل الضمير لجنات مصر وزروعها وكنوزها، وفيه نظر كما تقدَّم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء:٧٠) ، وفي الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات: من الآية٨٥).

جوابه: أن ﴿مَاذَا﴾ (الصافات: من الآية٨٥) أبلغ في الاستفهام من ﴿مَا﴾ (الشعراء:٧٠)، فقوله هنا: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء:٧٠) خارج مخرج الاستفهام عن حقيقة معبودهم، فلذلك أجابوه بقولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَاماً﴾ (الشعراء: من الآية٧١)، وأما آية الصافات فهو استفهام توبيخ وتفريع بعد معرفته لمعبودهم؛ ولذلك تمَّم كلامه بما يدل على الإنكار عليهم: ﴿أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصافات:٨٦)،

ولذلك لم يجيبوه في آية الصافات لفهم قصد الإنكار عليهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٧٨)، كرر ﴿هُوَ﴾ (الشعراء:٧٨)، في ﴿يَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٧٨) و﴿يُطْعِمُنِي﴾ (الشعراء: من الآية٧٩) و﴿وَيَسْقِينِ﴾ (الشعراء: من الآية٧٩) و﴿يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: من الآية٨٠) ولم يكرره في ﴿ مَرِضْتُ﴾ (الشعراء: من الآية٨٠) ﴿يُمِيتُنِي﴾ (الشعراء: من الآية ٨١).

جوابه: من وجهين: أحدهما: سلوك الأدب في إضافته المحبوب والنعمة إلى الله تعالى، وسكوته عن المكروه من المرض والموت وإضافته إلى نفسه.

والثاني: أن الإطعام والسقي والشفاء قد تضاف إلى الإنسان فيقال: فلان يطعم فلاناً ويسقيه، فأراد أن الله هو الفعَّال لذلك؛ فأكَّد الحصْر بقوله: ﴿هُوَ﴾ (الشعراء: ٧٨).

مسألة: قوله تعالى: في قصة نوح - عليه السلام -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (الشعراء:١٠٨) كرره دون سائر القصص في السورة.

جوابه: لعله - والله أعلم - لطول مدة تبليغهم وأمرهم بالإيمان والتقوى؛ فكرر ذلك لذلك.

مسألة: قوله تعالى: في قصة صالح - عليه السلام -: ﴿مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (الشعراء: من الآية١٥٤) وفي قصة شعيب - عليه السلام - : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ (الشعراء: من الآية١٨٦) بزيادة الواو.

جوابه: أن قول قوم صالح: ﴿مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ﴾ (الشعراء: من الآية١٥٤) هو بدل من قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء: من الآية١٥٣)، فلم يغلظوا له ولا اقترحوا عليه آية معينة، وقوم شعيب في خطابهم غلظ عليه وشطط واقتراح

ما اشتهوه من الآيات، فقولهم ﴿وَمَا﴾ (الشعراء: من الآية١٨٦): جملة ثانية معطوفة على ما قبلها فعابوه بأنه من المسحرين، وبأنه بشرٌ مثلهم، وأنَّه من الكاذبين واقترحوا الآية عليه؛ فناسب كلام قوم صالح أوَّله وآخره، وأول كلام قوم شعيب وآخره.

[٢٧] سورة النمل

مسألة: قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ (النمل: من الآية١٠) والجان صغار الحيَّات، وقال تعالى في الأعراف: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٧) والثعبان أكبر الحيات.

جوابه: معناه كأنها جان في سرعة حركتها لا في عظمها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿تَهْتَزُّ ﴾ (النمل: من الآية١٠) وحيث قال تعالى: ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٧) إشارة إلى عِظَمها. فكانت في الحركة كالجان وفي العِظَم ثعباناً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾ (النمل: من الآية٨٧) وفي الزمر: ﴿فَصَعِقَ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

جوابه: أن آية النمل في نفخة البعث؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: من الآية٨٧) وآية الزمر في نفخة الموت؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل: من الآية٨٨) وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾ (طه: ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧).

جوابه: أن ذلك باختلاف أحوال، ففي أول الأمر تسير سير السحاب، وتُرَى

كالواقفة لِعِظَمها كسير الشمس والقمر في رأي العين، ثم بعد ذلك تتضاءل فتكون كالعهن المنفوش، ثم تنسف فتكون الأرض قاعاً صفصفاً، والنسف: هو تفريق الريح الغبارَ فيصير كالهباء- والله أعلم-.

[٢٨] سورة القصص

مسألة: قوله تعالى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ (القصص: من الآية١٤).

تقدم في سورة يوسف- عليه السلام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص: من الآية٢٠) وفي يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (يس: من الآية٢٠).

جوابه: أن الرجل هاهنا قصد نُصْحَ موسى - عليه السلام - وحده لِمَا وجده، والرجل في ((يس)) قصد من أقصى القرية نُصح الرسل ونصح قومه؛ فكان أشد وأسرع داعية؛ فلذلك قدم قاصداً من أقصى المدينة؛ لأنه ظاهر صريح في قصده ذلك من أقصى المدينة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ (القصص: من الآية٢٩) وبقية السور: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾ (النمل: من الآية٧).

جوابه: لما تقدم هنا: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (القصص: من الآية٢٩) ناسب: ﴿امْكُثُوا﴾ (القصص: من الآية٢٩) أي عن السير.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (القصص: من الآية٤٧) ظاهره جواز عذابهم بما قدمت أيديهم قبل إرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء: من الآية١٥).

جوابه: أن جواب ﴿لَوْلا﴾ (القصص: من الآية٤٧) مقدر محذوف تقديره: لولا

أنا إذا عذَّبناهم بمعاصيهم قبل الرسل، يقولون ذلك لعذَّبناهم بها قبل الرسالة، لكن يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ (القصص: من الآية٤٧) أي بعد إبراهيم كما أرسلت إلى بني إسرائيل وفرعون؛ فألزمهم الحجة بقوله أو لم يكفر الذين أُرسل إليهم موسى به وقالوا: ساحران - والله أعلم -.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ (القصص: من الآية٦٠) وفي حم عسق: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الشورى: من الآية ٣٦).

جوابه: أن آية القصص تقدمها ذكر الكفار وهم المغترون بزينة الدنيا من مساكن وأموال وخدم ؛ فناسب ذلك ذكر الزينة وختمها بقوله تعالى: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: من الآية٦٠)، وآية حم تقدمتها آيات نعمه على عباده المؤمنين، وهم لإيمانهم بالآخرة لا يغترون بزينة الدنيا؛ فناسب عدم الزينة وختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى: من الآية٣٦).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً﴾ (القصص: الآية٧١) الآيتين قدم الليل على النهار، وختم الأولى بـ﴿تَسْمَعُونَ﴾ (القصص: من الآية٧١) والثانية بـ﴿تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: من الآية٧٢).

جوابه: أن الليل هو الأصل السابق على الضياء بالشمس لزواله بطلوعها، ولأن عموم منافع النهار أعظم من منافع الليل، فقدم المنة بالنعمة العُظمى. وقوله تعالى في الأولى: بـ﴿تَسْمَعُونَ﴾ (القصص: من الآية٧١) لأن عموم المسموعات في النهار لسبب كثرة الحركات والكلام والمخاطبات والمعاش أكثر من الليل؛ فناسب ذكر السمع، وقوله تعالى في الثانية بـ﴿تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: من الآية٧٢) لأن ظلام

الليل يُغشي الأبصار كلها؛ فناسب ختمُها بذكر البصر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: من الآية٧٨) وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:٩٢، ٩٣).

جوابه: أن ذلك في مواطن القيامة، ففي موطنٍ يُسألون وتقام الحجة عليهم، وفي موطن لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، وقد تقدم مستوفى في الحجر.

[٢٩] سورة العنكبوت

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ (العنكبوت: من الآية٨) هنا وفي الأحقاف ولم يذكر في لقمان ﴿حُسْناً﴾.

جوابه: أن هنا: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية ٧) وبر الوالدين من أحسن الأعمال؛ فناسب ذكر الإحسان إليهما؛ وآية الأحقاف نزلت فيمن أبواه مؤمنان؛ فناسب وصيته بالإحسان إليهما، وآية لقمان لما تضمنت ما ينبه على حقهما والإحسان إليهما بقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ﴾ (الأحقاف: من الآية ١٥) ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ (الأحقاف: من الآية١٥) وشدة ما تقاسيه في حمله وتربيته، وحمل أبيه أعباء حاجاتها وحاجته، وقوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: من الآية١٤) أغنى عن ذكر ﴿حُسْناً﴾ المذكور هاهنا وفي الأحقاف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٢)، وفي حم عسق: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى: من الآية٣١).

جوابه: أن الخطاب لقوم إبراهيم - عليه السلام - ومن في زمانهم من الكفار، ومنهم نمروذ الذي كان يعتقد أنه يصعد إلى السماء؛ فقال تعالى: ﴿وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٢)، للذين يعتقدون القدرة على صعودها، وفي حم عسق الخطاب للمؤمنين، والمؤمنون لا يعتقدون القدرة على ذلك؛ فناسب ترك ذكره.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٤) وقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت:٤٤) جمع الآيات في الأولى، وأفرد في الثانية.

جوابه: أن المراد هنا قصة إبراهيم - عليه السلام - وما فيها من تفاصيل أحواله مع أبيه وقومه، وفي الثانية المراد خلق السماوات والأرض فقط لا تفاصيل ما فيها من الآيات. وأيضاً يحتمل أن المراد لقوم يؤمنون لعموم تنكيره فيدخل فيه كل مؤمن من الصحابة وغيرهم، ومعناه أنه لكل قوم مؤمنين، والذي بعده بالتعريف للمُتَّصفين بالإيمان حال نزول الآية وهم الصحابة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (العنكبوت:٣٩) فقدم قارون هنا، وأخَّره في سورة المؤمن.

جوابه: لما قال: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: من الآية٣٨) وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقرابة موسى، ومعرفته؛ ناسب تقديم ذكره. وفي المؤمن سياق الرسالة وكانت إلى قارون ومخالفته وعداوته بعد فرعون وهلاكه..

مسألة: قوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (العنكبوت: من الآية٥٨).

تقدم في آل عمران جوابه .

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (العنكبوت:

من الآية٦٢)، وفي القصص: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (القصص: من الآية٨٢)، وفي مواضع أُخر: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص: من الآية ٨٢).

جوابه: أن أحوال الناس في الرزق ثلاثة الأول: من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى وهو يُفهم من آية العنكبوت بقوله: ﴿لَهُ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٢)، والثاني: يوسع على قوم مطلقاً ويضيق على قوم مطلقاً، ويُفهم من سورة القصص، والثالث: الإطلاق من غير تعيين بسطٍ ولا قبضٍ، فأطلق من غير ذكر ((عباد)).

وخُصَّت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٠) ثم فصَّل حالهم في بسطه تارة وقبضه تارةً، وأما آية القصص فتقدمها قصة قارون؛ فناسب الحال الثاني أنه يبسط الرزق لمن يشاء مطلقاً لا لكرامته كقارون، ويقبضه لمن يشاء لا لهوانه كالأنبياء الفقراء منهم، وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين؛ كأنواع بعض الحيوانات من الآدميين وغيرهم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ (العنكبوت: من الآية٦٣) وفي الجاثية، والبقرة ﴿بَعْدَ﴾ بحذف ﴿مِن﴾.

جوابه: أن الأرض يكون إحياؤها تارة عقيب شروع موتها، وتارة بعد تراخي موتها مدة، فآية العنكبوت تشير إلى الحالة الأولى؛ لأن ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية؛ فناسب ذلك ما تقدم من عموم رزق الله تعالى خلقه، وآيتا البقرة والجاثية في سياق تعداد قدرة الله تعالى؛ فناسب ذلك إِحياء الأرض بعد طول زمان موتها لدلالته..

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ (العنكبوت: من الآية٦٦) وقوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٧). تقدم في النحل.

[٣٠] سورة الروم

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم:٩)، وفي فاطر: ﴿وَكَانُوا﴾ (فاطر: من الآية٤٤) بزيادة واو، وفي أول المؤمن: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ﴾ (غافر: من الآية٢١) وفي الأخيرة: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ﴾ (غافر: من الآية٨٢).

جوابه: أن آية الروم لم تتقدمها قصص من تقدم ولا ذكرهم؛ فناسب إجمالها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ (الروم: من الآية٩) وآية المؤمن الأولى تقدمها ذكر نوح - عليه السلام - والأحزاب، وَهَمُّ كل أمة برسولهم؛ فناسب ذلك بسط حالهم وإعادة لفظ ﴿كَانُوا﴾ (الروم: من الآية٩) و﴿هم﴾ توكيداً وإشارة إلى ثانية من تقدم ذكرهم، وأما ثانية سورة المؤمن فإنها جاءت على الاختصار، وأما آية فاطر فوردت بعد قوله تعالى: ﴿مَا زَادَهُمْ إلا نُفُوراً﴾ (فاطر: من الآية٤٢)، ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ﴾ (فاطر: الآية٤٣)، ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: من الآية٤٣)؛ فناسب ذكر الواو العاطفة بخبر ((إن)) لمزيد حالهم في ((الدنيا)) من الشدة في القوة ولم تُغْن عنهم شيئاً، ولذلك أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (فاطر:

من الآية٤٤) فكيف بهؤلاء.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (الروم: الآية٣٧) وفي الزمر ﴿يَعْلَمُوا﴾ (الزمر: من الآية٥٢).

جوابه: أن بسط الرزق وقبضه مما يُريان ويُشاهدان؛ فجاء هنا عليه، وآية الزمر جاءت بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (الزمر: من الآية٤٩)؛ فناسب: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ (الزمر: من الآية٥٢)، مع فصاحة التفنن.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم: من الآية٤٦) وفي الجاثية: ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ (الجاثية: من الآية١٢).

جوابه أن السياق هنا لذكر الرياح، ولم يذكر البحر، وفي فاطر لما تقدم ذكر البحر رجع الضمير إليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: من الآية٤٧) وفي آل عمران: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٥).

جوابه: تقدم في سورة الحج، وأن المراد به أن العاقبة لهم، وإن تقدم وَهَنٌ فَلِتَمْحيصهم وأجورهم.

[٣١] سورة لقمان

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ (لقمان: من الآية١٤).

تقدم في العنكبوت.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ (لقمان: من الآية٣٠) تقدم في الحج.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ (لقمان: من الآية٢٩) وفي

فاطر والزمر: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ (فاطر: من الآية١٣).

جوابه: أنه لما تقدم هنا ذكر البعث والنشور بقوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان:٢٨) وبعدها: ﴿وَاخْشَوْا يَوْماً﴾ (لقمان: من الآية٣٣)؛ ناسب مجيء ﴿إِلَى﴾ (لقمان: من الآية٢٩) الدالة على انتهاء الغاية؛ لأن القيامة غاية جريان ذلك، وفاطر والزمر تقدمهما ذِكر نعم الله تعالى مما خُلق لمصالح الخلق؛ فناسب المجيء باللام بمعنى ﴿لأَجَلٍ﴾ (فاطر: من الآية١٣) والله أعلم.

[٣٢] سورة السجدة

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (السجدة: من الآية٥)، وقال في الحج: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: من الآية٤٧) وفي سأل سائل: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: من الآية٤).

جوابه: أن المراد هنا: ما ينزل به الملكُ من السماء ثم يصعد إليها، وتكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا عن سماء الدنيا، والمراد بآية الحج: أن عذاب المعذَّب في جهنم يوماً واحداً بقدر عذاب المعذب ألف سنة؛ لأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ (الحج: من الآية٤٧) والمراد بآية سأل سائل: يوم القيامة، لما فيه من الأهوال والشدائد وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ (المعارج: من الآية ٤) راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: من الآية١) أي واقع ليس له دافع ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: من الآية٤) وقيل المراد

به نزول الملك من سدرة المنتهى وعَوْده إليها، وأن مقدر ذلك على سير أهل الدنيا: خمسون ألف سنة، وفيه نظر، والله أعلم.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: من الآية١١)، وفي الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: من الآية٤٢)، وفي الأنعام: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: من الآية٦١) ومثله: ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٩٣).

جوابه: الجامع للآيات أن لملك الموت أعواناً من الملائكة يعالجون الروح حتى ينتهي إلى الحلقوم فيقبضها هو، فالمراد هنا قبضه لها عند انتهائها إلى الحلقوم، والمراد بآية الأنعام هو وأعوانه، وبآية الزمر: أمر الله تعالى وقضاؤه بذلك، أو خلق سلْب تلك الروح من جسدها، وقيل: المراد بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ﴾ (الزمر: من الآية٤٢)، وبقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: من الآية١١) أي يستوفي عدد أرواحكم، من قولهم توفيت الدين، إذا استوفيته أجمع.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ (السجدة: من الآية٢٦) بالواو، و﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (السجدة: من الآية٢٦) وفي طه بالفاء وحذف ﴿مِن﴾.

جوابه: أن آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون والسامري وهلاكهم، وذكر آدم وحواء، فناسب ﴿قبل﴾ العامة لما تقدم من الزمان، وآية السجدة خالية من ذلك فأتى بـ﴿مِنْ﴾ (السجدة: من الآية٢٦) المقربة للزمان.



[٣٣] سورة الأحزاب

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ (الأحزاب: من الآية٥٠) أفراد الذكور وجمع الإناث.

جوابه: أن إفراد الذكور لإرادة الجنس، وعُلِمَ من إضافة الجمع إلى المفرد أن المراد جنس الأعمام والأخوال لا عمٌّ معين أو خالٌ، فكان الإفراد مع إرادة الجنس أخفُّ لفظاً وأفصح، لما فيه من المقابلة بين الإفراد والجمع والذكور والإناث، أما جمع الإناث لفظاً فلتعذر الإتيان بمفرده بقيد الجنس، إذ لو قيل: بنت عمك أو بنات عماتك وبنت خالك أو بنات خالاتك لاحتمل إرادة بنت معينة أو عمة معينة أو خال معين أو خالة معينة، والآية إنما سيقت لبيان المنة على رسول الله ﷺ والتوسعة عليه، والإفراد يفوت به التصريح له بهذا المعنى المقصود.

[٣٤] سورة سبأ

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ (سبأ: من الآية٣)، وفي يونس - عليه السلام - ﴿فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ﴾ (يونس: من الآية٦١).

تقدم الجواب في سورة يونس - عليه السلام -.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إلا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: من الآية١٧)، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (القمر: من الآية٣٥) وقال: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٤٤).

جوابه: المراد: هل يُجازى بالظلم والمعاصي حتماً إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يعفى عنه فلا يجازى بمعاصيه تفضلاً عليه، ولشرف الإيمان.

[٣٥] سورة فاطر

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: من الآية٢٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (سبأ: من الآية٤٤) وفي يس: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (يس:٦).

جوابه أن المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح وقوم إبراهيم، وفي العرب من ولد إسماعيل وخالد بن سنان[١] وحنظلة بن صفوان[٢]، وبني إسرائيل موسى وهارون ومن بعدهم، وقيل: لم يخل بنو آدم من نذير من حين بُعث إليهم وإلى زمن النبي ﷺ إما نبي أو رسول، وآية سبأ المراد بهم قريش خاصة وأهل مكة الموجودون زمن النبي ﷺ وآباؤهم لم يأتهم نذيرٌ خاصٌّ بهم قبل النبي ﷺ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إلا خَسَاراً﴾ (فاطر:٣٩) وفي الأنعام: ﴿خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٥).

جوابه: أن آية الأنعام تقدمها ما هو من سياق النعم عليهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٥١) إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٠) فناسب الخطاب لهم في ذلك بلفظ التعريف الدال على أنهم خلفاؤها المالكون لها، وفيه من التفخيم لهم ما

---

(١) هو خالد بن سنان العبسي: حكيم، من أنبياء العرب في الجاهلية، كان في أرض بني عبس، يدعو الناس إلى دين عبس. انظر/ الأعلام (٢/٢٩٦).

(٢) حنظلة بن صفوان: من أنبياء العرب في الجاهلية. انظر/ الأعلام (٢/٢٨٦).

ليس في آية فاطر؛ لأنه ورد في آية فاطر نكرة فقال خلائف فيها؛ فليس فيه من التمكن والتصرف ما في قوله تعالى: ﴿خَلائِفَ الأَرْضِ﴾.

[٣٦] سورة يس

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ (يس: من الآية٦).

إن جعلت ﴿مَا﴾ (يس: من الآية٦) نافيه فقد تقدم الجواب في فاطر وإن جعلتها مصدرية أو موصولة فالمراد: كإنذار آبائهم، فإن إنذار إسماعيل لم يزل فيهم إلى زمن عمرو بن لُحيّ [١].

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (يس: الآية٢٠)، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص: من الآية٢٠).

تقدم في القصص جوابه، ونزيدها هنا أن الرجل جاء ناصحاً لهم في مخالفة دينهم فمجيئه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه؛ فقدم ذكر البعد لذلك، وفي القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشق تركه كالدين، بل لمجرد نصحه؛ فجاء على الأصل في تقديم الفاعل على المفعول الفضلة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (يس: ٧٤)، ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً * كَلا﴾ (مريم: من الآيتين ٨١ ،٨٢) وقال تعالى في الفرقان: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ (الفرقان: من الآية٣) مُضمراً.

جوابه: أن آيتي مريم ويس وردتا بعد ضمير المتكلم؛ فناسب الإظهار، وآية الفرقان وردت بعد تكرار ضمير الغائب؛ فناسب الإضمار للغائب لتناسب الضمائر. والله أعلم.

---

(١) هو عمرو بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي. انظر/ الأعلام (٨٤/٥).

[٣٧] سورة الصافات

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافات: من الآية٥)، كذلك جمعها في سورة المعارج فقال: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: من الآية٤٠)، وفي سورة الرحمن: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن:١٧).

جوابه: أن المراد بالجمع: مشارق الشمس ومغاربها مدة السنة وهي مائة وثمانون مشرقاً ومغرباً، وكذلك مشارق النجوم ومغاربها، ومشارق القمر ومغاربه كل شهر، والمراد بالمشرقين والمغربين: مشرق غاية طول النهار وقصر الليل ومغربه، ومشرق غاية قصر النهار وطول الليل ومغربه، وخَصَّ المشارق هنا بالذكر لأنها مطالع الأنوار والضياء، والحرص على ذلك لمظنة الانبساط والمعاش، ولأن المغارب يُفهم من ذلك عند ذكر المشارق لكل عاقل، ولأن ذكر السماوات والأرض مناسب لذكرها معها بخلاف سائر المواضع.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ (الصافات: من الآية١١) وقال في الحج: ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (الحج: من الآية٥) وقال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (النحل: من الآية٤) وقال: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: من الآية١٤).

جوابه: أما قوله تعالى: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ (الحج: من الآية٥) و﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الرحمن: من الآية١٤) و﴿مِنْ طِينٍ﴾ (الصافات: من الآية١١) فالمراد أصلهم وهو آدم؛ عليه السلام ؛ لأن أصله من تراب ثم جعله طيناً، ثم جعله صلصالاً كالفخار، ثم نفخ فيه الروح، وقوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (النحل: من الآية٤) أي أولاد آدم وذريته كما هو المشاهد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات: من الآية١٦)، ثم قال بعده: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات: من الآية٥٣).

جوابه: أن القائل الأول منكر للبعث في الدنيا، والقائل الثاني في الجنة مُقَرِّرٌ لثبوت ما كان يدعيه في الدنيا من البعث والحساب ومُوَبِّخٌ لمن كان ينكر ذلك في الدنيا.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤) وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ (الرحمن:٣٩) .

جوابه: ما تقدم في الحجر أن يوم القيامة مواقف، أو أن السؤال هنا قوله: ﴿مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾ (الصافات:٢٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات:١٠١)، وفي الذاريات: ﴿بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات: من الآية٢٨) ما وجه مجيء كل واحد في موضعه؟

جوابه: إنما وصفه هنا بالحلم وهو إسماعيل - والله أعلم - وهو ما ظهر، لما ذكر عنه من الانقياد إلى رؤيا أبيه مع ما فيه من أَمَرِّ الأشياء على النفس وأكرهها عندها، ووعدها بالصبر وتعليقه بالمشيئة، وكل ذلك دليل على تمام الحلم والعقل.

وأما في الذاريات فالمراد- والله أعلم-: إسحاق؛ لأن تبشير إبراهيم بعلمه ونبوته فيه دلالة على بقائه إلى كبره، وهذا يدل على أن الذبيح إسماعيل.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:٨٠) في سائر الرسل، وقال تعالى في إبراهيم: ﴿كَذَلِكَ﴾ (الصافات: من الآية١١٠)، ولم يقل ذلك في لوط ويونس.

جوابه: أما قصة إبراهيم؛ فلأنه تقدم فيها: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:٨٠) فكفى عن الثانية.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات:١٤٣، ١٤٤)، وقال تعالى في سورة ن: ﴿لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (القلم:٤٩)، فظاهره: لولا تسبيحه في بطن الحوت إلى الحشر، ولولا نعمة ربه لنبذ بالعراء إلى الحشر.

جوابه: لولا تسبيحه للَبِث في بطن الحوت، وحيث نُبِذَ بتسبيحه فلولا نعمة ربه لنُبِذَ بالعراء مذموماً غير مشكور.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات١٧٤:١٧٥)، وقال تعالى بعدُ: ﴿وَأَبْصِرْ﴾ (الصافات: من الآية١٧٩) بحذف الضمير.

جوابه: أن الحين في الأول يوم بدر، ثم: وأبصرهم كيف حالهم عند نصرك عليهم وخذلانهم، والحين الثاني يوم القيامة، ثم قال تعالى: وأبصر حال المؤمنين وما هم فيه من النعم، وما هؤلاء فيه من الخِزْي العظيم، فلما كان الأول خاصًّا بهم أضمرهم، ولما كان الثاني عامًّا أطلق الإبصار والمبصرين. والله أعلم.

[٣٨] سورة ص

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:٤) وفي سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (ق:٢) الأول بالواو، والثاني بالفاء.

جوابه: أن ما قبل سورة ق يصلح سبباً لما قالوا بعده فجاء بالفاء، وما قبل سورة ص لا يصلح أن يكون سبباً لقولهم: ساحر كذاب، فجاء بالواو العاطفة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ (ص: من الآية ١٧) ما وجه تعلق صبره بذكر داود؟

جوابه: لما استعجلوا العذاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾

(ص: من الآية١٦) همَّ رسول الله ﷺ بالدعاء بنزول العذاب عليهم، أمره الله تعالى بالصبر عليهم، وأن يذكر داود حيث دعا على الخطَّائين وابتُليَ بخطيئته.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ (ص: من الآية٦٥)و ((إنما)) تفيد الحصر وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (الأحزاب: من الآية٤٥).

جوابه: أن ما يتقدمه التخويف يناسب أن يليه الإنذار، وهاهنا كذلك؛ لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجَّتهم فيها، وما تقدمه الترجية أو التخويف، والترجية يليها الوصفان، وآية الأحزاب كذلك وكذلك آية فاطر، لما تقدم الأمران قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (فاطر: من الآية٢٤)، والله أعلم.

[٣٩] سورة الزمر

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ (الزمر: من الآية٢)، وقال تعالى بعده: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: من الآية٤١).

جوابه: حيث قصد تعميمه وتبليغه وانتهاءه إلى عامة الأمة قال: ﴿إِلَيْكَ﴾ (الزمر: من الآية٢) وحيث قصد تشريفه وتخصيصه به قيل: ﴿عَلَيْكَ﴾ (الزمر: من الآية٤١)، وقد تقدم ذلك في آل عمران، وحيث اعتبر ذلك حيث وقع وجد لذلك، وذلك لأن ﴿على﴾ مُشْعرٌ بالعلوّ! فناسب أول ما جاءه من العلو وهو النبي ﷺ، و﴿إلى﴾ مشعرة بالنهاية فناسب ما قصد به هو وأمته؛ لأن ﴿إلى﴾ لا تختص بجهة معينة، ووصوله إلى الأمة كذلك لا يختص بجهة معينة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: من الآية٣)، وقال تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الزمر: من الآية٨) وظاهر الآيتين تعليل العبادة بهما.

جوابه: أن اتخاذه الصنم إلها كان تعبداً في نفسه واعتقاده، وفي نفس الأمر هو ضلال، وإضلال عن سبيله لا عنده، لأنه لم يصدق أن ذلك سبيل الله فضلَّ عنه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: الآية٣)، ومثله: ﴿لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤)، وقال تعالى في الأنعام: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الأنعام: من الآية٨٨)، وقال تعالى: ﴿قُلِ الله يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ (يونس: من الآية٣٥) وقد هدى خلقاً كثيراً من الكفار أسلموا من قريش وغيرهم.

جوابه: أن المراد من سبق علمه بأنه لا يؤمن وأنه يموت على كفره فهو عام مخصوص، أو أنه غير مهدي في حال كذبه وكفره.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر:١١) ثم قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر:١٢) ما وجه دخول اللام؟

جوابه: أن متعلق ﴿وَأُمِرْتُ﴾ (الزمر: من الآية١٢) الثاني غير الأول؛ لاختلاف جهتيهما؛ فالأول أمره بالإخلاص في العبادة، والثاني أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الزمر: من الآية٣٥).

تقدم في هود جوابه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ (الزمر: من الآية٤١)، ﴿وَمَا أَنتَ﴾ (الزمر: من الآية٤١) وفي يونس - عليه السلام -: ﴿فَإِنَّمَا﴾ (يونس: من الآية١٠٨)، ﴿وَمَا أَنَا﴾ (يونس: من الآية١٠٨).

جوابه: تقدم في يونس.

مسألة: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: من الآية٤٢)، فجاء أولاً بـ﴿حِينَ﴾ (الزمر: من الآية٤٢) وفي الثانية بـ﴿فِي﴾ (الزمر: من الآية٤٢).

جوابه: أن الموت هو التوفي فلا يكون ظرفاً لنفسه، بخلاف النوم لصحة جعله ظرفاً للتوفي.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ (الزمر: من الآية٧٠) وفي آل عمران: ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ (آل عمران: من الآية٢٥).

جوابه: أنه تقدم قبل هذا تكرار ذكر الكسب؛ فناسب العدول إلى ﴿عَمِلَتْ﴾ (الزمر: من الآية٧٠) ولم يتقدم مثله في آل عمران.

مسألة: قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: من الآية٧١)، وقال في الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: من الآية٧٣) بالواو.

جوابه: الأحسن ما قيل إن الواو واو الحال، وذلك أن الأكابر الأجلاء الأعزاء تفتح لهم أبواب الأماكن التي يقصدونها قبل وصولهم إليها إكراماً لهم وتبجيلاً وصيانة من وقوفهم منتظرين فتحها، والمُهان لا يفتح له الباب إلا بعد وقوفه وامتهانه؛ فذكر أهل الجنة بما يليق بهم، وذكر أهل النار بما يليق بهم ويؤيد ذلك ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ (ص:٥٠).

[٤٠] سورة المؤمن غافر

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إلا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: الآية٤) وقال تعالى في العنكبوت: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٦) وكم في اختلاف آيات القرآن وأحكامه من جدلٍ واختلاف بين أئمة المسلمين الكبار.

جوابه: أن المراد هنا الجدال بالباطل لإبطال الحق كقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (غافر: من الآية٥) وجدال المسلمين لإظهار الحق منه وفيه، لا لدُحُوضِه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ (غافر: من الآية٧)، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٦) والكافر شيء ولا يدخلها.

جوابه: المراد بعموم كل شيء: الخصوص وهم المؤمنون كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٢٥) أو أن المراد:رحمته في الدنيا فإنها عامة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ (غافر: من الآية٨)، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الروم: من الآية٦) وهم يعلمون ذلك فما فائدة سؤاله؟

جوابه:أن المراد وفِّقهم للأعمال الصالحة المقتضية دخول الجنة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ (غافر: من الآية٩).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ (غافر: من الآية٩) ودعاء الملائكة

مستجاب، وتقع السيئات منهم لقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (الشورى: من الآية٢٥).

جوابه: أن المراد: وقِهِمْ عذاب السيئات، أو جزاء السيئات.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ (غافر: من الآية٩) ولا سيئة يوم القيامة.

جوابه: المراد: جزاء السيئات، أو ما يسوؤهم فيه من الحزن والخوف والعذاب.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: من الآية ٢٨)، وقال بعده: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: من الآية٣٤).

جوابه: لما قال تعالى في الأولى: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ (غافر: من الآية ٢٨)؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: من الآية٢٨)، ولما قال تعالى في الثانية: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ (غافر: من الآية٣٤)؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: من الآية٤٠)، وقال تعالى في عمَّ: ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ (النبأ: من الآية٣٦).

جوابه: في عمَّ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (غافر: من الآية٥١) الآية، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: من الآية ٢١)، وقال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران: من الآية١١٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ﴾ (آل عمران: من الآية١٤٦) عند مَن وقف على ﴿قَاتَلَ﴾ (آل عمران: من الآية١٤٦).

جوابه: تقدم، وهو عامٌّ أريد به رسل مخصوصون وهم الذين أُمِرُوا بالقتال، فقد قيل: ليس رسول أُمِرَ بذلك إلا نُصِرَ على من قاتله، وإما أريدَ به العاقبة إما لهم أو لقومهم بعدهم، وإما يُراد به النصر عليهم بالحجة والدليل، أو بالسيف، أو بهما.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ (غافر: من الآية٥٩) وقال

تعالى في طه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ (طه: من الآية١٥) أدخل اللام هنا دون طه.

جوابه: أن الخطاب هنا مع المنكرين للبعث فناسب التوكيد باللام، والخطاب في طه مع موسى- عليه السلام- وهو مؤمن بالساعة فلم يُحتج إلى توكيد فيها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: من الآية٥٧). وقال بعده: ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر: من الآية٥٩)، وقال تعالى بعده: ﴿لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: من الآية٦١) فاختلفت خواتيم الآيات الثلاث.

جوابه: أن من علم أن الله تعالى خلق السماوات والأرض مع عظمهما؛ اقتضى ذلك علمه بقدرته على خلق الإنسان وإعادته ثانياً؛ لأن الإنسان أضعف من ذلك وأيسر؛ فلذلك ختمه بقوله تعالى: ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: من الآية٥٧)، وأما ذكر الساعة وأنها آتية لا ريب فيها قال: ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر: من الآية٥٩) أي لا يصدقون بها لاستبعادهم البعث، ولما ذكر نعمه على الناس وفضله عليهم؛ ناسب ختم الآية بقوله: ﴿لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: من الآية٦١).

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: من الآية٦١)، وفي يونس: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ (يونس: من الآية٦٠).

جوابه: أن هنا أظهر لفظ ﴿النَّاسِ﴾ (غافر: من الآية٦١) وكرره؛ فناسب إظهاره هنا للمشاكلة في الألفاظ، وفي يونس أضمر ﴿النَّاسِ﴾ (يونس: من الآية٦٠) وكرر ضمائرهم قبل ذلك؛ فناسب إضمارهم لما ذكرناه من المشاكلة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (غافر: من الآية٦٢).

جوابه: تقدم في سورة الأنعام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ﴾ (غافر: من الآية٨٢)، ذكر الأحوال الثلاث، وفي الروم وفاطر وأول السورة ذكر حالين منهما.

جوابه: لما تقدم قصة فرعون وتفصيل حاله وجبروته وما ذكر عنه؛ ناسب ذلك



ذكر الكثرة والشدة والإثارة في الأرض.

[٤١] سورة حم السجدة فصلت

مسألة: قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: من الآية٩)، ثم قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ (فصلت: من الآية١٠) ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: من الآيتين ١١، ١٢) فظاهرة ثمانية أيام، وقال تعالى في عدة مواضع: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤).

جوابه: أنه أضاف اليومين اللذين دَحَى فيهما الأرض وأخرج ماءها ومرعاها إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فصارت أربعة أيام، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت:١٠) إلى آخره، معطوف على خلق الأرض، تقديره: خلق الأرض وجعل رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ (فصلت: من الآية١١) و﴿ثُمَّ﴾ (فصلت: من الآية١١) تقتضي الترتيب فظاهره أن تسوية السماء بعد دَحْي الأرض وأقواتها وبركاتها، وقد قال تعالى في النازعات: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات:٣٠).

جوابه: أن ﴿ثُمَّ﴾ (فصلت: من الآية١١) قد تأتي الأخبار لا لترتيب الواقع المُخْبَر عنه فيكون تقديره: ثم يخبركم أنَّه ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت:١١) ، ونحوه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٤) بعد قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: من الآية٩٢)، وهو كثير في القرآن وكلام العرب، ومنه البيت المشهور، وهو:

إن من سادَ ثم سادَ أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جَدُّه

مسألة: قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ (فصلت: من الآية١٦)، وفي القمر:

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: من الآية١٩)، وفي الحاقة: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: من الآية٧).

جوابه: أن اليوم يُعَبَّر به عن الأيام كقولهم يوم الحرَّة [1] ويوم بُعَاث [2]، وقد يُراد به اليوم الذي بدأ به الريح؛ يقال: كان آخر أربعاً في الشهر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت: من الآية١٧) وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: من الآية٣).

جوابه: أن ذلك في من علم الله تعالى أنه لا يؤمن، أو يكون عامًّا، مخصوصاً بمن علم الله ذلك منه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ (فصلت: من الآية٢٠)، وقال تعالى في النمل: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ (النمل: من الآية٨٤) فحذف ﴿ما﴾.

جوابه: أنه إذا أريد تحقيق جزاء الشرط لبُعده من معناه؛ أُكِّد بما على عادتهم عند قصد التأكيد بزيادة الحروف، وإذا لم يكن الجزاء بعيداً من معنى الشرط لم يحتج إلى تأكيد، ولفظ المجيء لا يُعقل منه ولا يُفهم شهادة السمع والبصر فاحتاج إلى تأكيد الشرط بـ﴿ما﴾، وسؤال الخلق عند مجيئهم في القيامة مفهوم منه لعلمهم أن الحشر لذلك، فلم تحتج إلى توكيد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: من الآية٣٦)، وفي الأعراف: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: من الآية٢٠٠).

تقدم جوابه في الأعراف.

---

(١) يوم الحرة: هو يوم لجند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليه لعنة الله على أهل المدينة، حيث ثار ابن الزبير بعد مقتل سيدنا الحسين عليه السلام بمكة، وكذلك ثار أهل المدينة؛ فسير إليهم يزيد لعنه الله اثني عشر ألفاً عليهم مسلم بن عقبة المري فهزم أهل المدينة واستباحها جيش يزيد ثلاثة أيام وذلك عام ٥٦٣. أيام العرب في الإسلام (٤٠٩-٤٢١).

(٢) يوم بعاث: هو يوم للأوس على الخروج في الجاهلية، وهو الأشد في حروب وقعت بينهم. أيام العرب في الجاهلية (٧٣).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ (فصلت: من الآية٥٠)، وقال في هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ (هود: من الآية١٠) ولم يقل: منا.

جوابه: أن آية هود تقدم فيها لفظ ﴿مِنَّا﴾ (فصلت: من الآية٥٠) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا﴾ (هود: من الآية٩) فتركت ثانياً للدلالة عليها أولاً ولم يتقدم هنا ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ (فصلت: من الآية٥٢)، وفي الأحقاف: ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ (الأحقاف: من الآية١٠).

جوابه: أنه يجوز أن يكون ﴿ثُمَّ﴾ (فصلت: من الآية٥٢) هنا للاستبعاد من الكفر مع العلم بكونه من عند الله، فإن التخلف عن الإيمان بعد ظهور كونه من عند الله مستبعد عند العقلاء؛ ولذلك قال تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: من الآية٥٢)، وهو كقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٢) والواو في الأحقاف واو العطف بمعنى الجمع، وجواب الشرط مقدر تقديره: إن اجتمع كونه من عند الله وكفرتم به وشهادة الشاهد وإيمانه ألستم بكفركم ظلمة؟ ودلل عليه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: من الآية١٠).

[٤٢] سورة حم عسق الشورى

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: من الآية٢٠)، وقال تعالى في آل عمران في بعض الصحابة: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: من الآية١٥٢) ونصيبهم في الآخرة وافر.

جوابه: أن المراد: من يريد الدنيا خاصة دون الآخرة، لعدم إيمانه بها لا مطلقاً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: من الآية٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى:٤١) وقد سماه تعالى في الجزاء سيئة.

جوابه: ليس المراد بالسيئة ضد الحسنة الشرعية، وإنما المراد جزاء من عمل ما يسوء غيره أن يعامل بما يسوؤه، والمشاكلة في الألفاظ من بديع الفصاحة، فسمى

المباح سيئة لمقابلته للسيئة كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ (آل عمران: من الآية ٥٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣)، وفي لقمان: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: من الآية١٧) .

جوابه: لما ذكر هنا جواز الانتقام، وذكر ترك ذلك لصفتين (الصبر والغفران) ناسب ذلك التوكيد واللام؛ لأن الصبر والغفران مع القدرة أشد على النفوس منهما مع عدم القدرة، وآية لقمان في صفة واحدة وهي الصبر، ولعله فيما ليس له الانتقام فيه فلم يؤكد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾ (الشورى: من الآية٥١)، فقوله تعالى: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾ (الشورى: من الآية ٥١) مفهوم من الأول وهو قوله تعالى: ﴿إِلا وَحْياً﴾ (الشورى: من الآية٥١)، فما فائدة ذلك؟

جوابه: أن المراد بالوحي الأول الإلهام لا الرسالة، والإلقاء في قلب الإنسان ما يكون، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ (القصص: من الآية٧)، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل: من الآية٦٨).

[٤٣] سورة الزخرف

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (الزخرف:١٤) بحذف اللام.

جوابه: أن هذا المحكيَّ إرشاد من الله تعالى لعبيده أن يقولوه في كل زمان؛ فناسب التوكيد باللام حثًّا عليه، وآية الشعراء أخبر عن قوم مخصوصين مضوا؛ فلم يكن للتأكيد معنى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: من الآية٢٠)، وقال تعالى في الجاثية: ﴿إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: من الآية٢٤).

جوابه: أن آية الزخرف في جعلهم الملائكة بنات الله وذلك كذبٌ محض قطعاً؛ فناسب: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: من الآية٢٠) ، وآية الجاثية في إنكارهم البعث

وليس عدمه عندهم قطعاً؛ فناسب: ﴿يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: من الآية٢٤).

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: من الآية٢٢) ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: من الآية٢٣).

جوابه: أن الأول لقريش الذين بُعثَ إليهم النبي ﷺ فادعوا أنهم وآباءهم على هدى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ (الزخرف: من الآية٢٤)، والثاني خبر عن أمم سالفةٍ لم يدَّعوا بأنهم على هدى بل متبعين آباءهم؛ ولذلك قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء:٧٤) ولم يقولوا: إنا على هدى، كما قالت قريش.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً﴾ (الزخرف: من الآية٦٠).

جوابه: أي بدلكم في الأرض.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف: من الآية٨١)، وفي يونس - عليه السلام -: ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (يونس: من الآية١٠٤).

جوابه: إن كان له ولد بزعمكم فأنا أول الموحدين، وقيل: هو تعليق على فرض محالٍ، والمُعَلق على المحال محال.

[٤٤] سورة الدخان

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الدخان: ٢٥،٢٦)، وقال في الشعراء: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء:٥٨) وقال هنا: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الدخان: من الآية٢٨) وقال في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء: من الآية٥٩).

جوابه: مع حسن التنويع في الخطاب، أن ((كنوزاً)) أبلغ فيما فات على فرعون؛ فناسب بسط ذكره أولاً وملكه وتسلطه ذكر الكنوز وهي الأموال المجموعة، وفي (الدخان) قصتهم مختصرة فناسب ذكر الزروع، وأما ﴿بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء: من الآية٥٩) هنا و﴿قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الدخان: من الآية٢٨) في الدخان فلأن لما تقدم ذكر

بني إسرائيل ونعمة الله عليهم بغرق عدوهم ونجاتهم منه؛ ناسب ذكر نعمته عليهم بعودتهم إلى مصر، ولكن بعد مئين من السنين حين تهوَّد ملك مصر وامتحن الأحبار بالتوراة، والعجب كل العجب من عدة من المفسرين يذكرون هنا أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر بعد غرق فرعون، وهو غفلة عما دل عليه القرآن والأخبار والتواريخ، من انتقالهم إلى الشام بعد تجاوز البحر، وأمر التيه، وموت هارون وموسى- عليهما السلام- في التيه، والمختار أن الضمير في ﴿أَوْرَثْنَاهَا﴾ (الشعراء: من الآية ٥٩)للنعم والجنات بالشام.

[٤٥] سورة الجاثية

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ (الجاثية: من الآية٤) وقال في حم عسق: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (الشورى: من الآية٢٩).

جوابه: أن المراد ذكر استمرار نعمه وقدرته على الناس قوماً بعد قومٍ، والمراد بآية الشورى ابتداء خلقه الدواب وبثها في الأرض.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ (الجاثية: من الآية٥)، وقال تعالى في البقرة: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ (البقرة: من الآية١٦٤).

جوابه: أن المراد بالرزق الماء؛ لأنه سببه وأصله وبه نبات الأرزاق؛ تسمية للسبب باسم المسبب، وخص لفظ ﴿رزق﴾ هنا لتقدم قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ (الجاثية: من الآية٤) لحاجتكم لا في الرزق.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ (الجاثية: من الآية٢٨)، وقال تعالى في الزمر: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

جوابه: أن القيامة مواقف، وقد تقدم مرات.

[٤٦] سورة الأحقاف

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

(الأحقاف: من الآية١٣)، وقال تعالى في السجدة: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ...﴾ (فصلت: من الآية٣٠) الآيات.

جوابه: أن آية السجدة وردت بعدما تقدم ذكر الكفار من الأمم وعقابهم؛ فناسب ذلك بسط ما أُعِدَّ للمؤمنين من النعم والأمن وثوابهم، وآية الأحقاف مُساقة على الاختصار، فناسب ما وردت به.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾ (الأحقاف: من الآية١٥).

تقدم في العنكبوت.

[٤٧] سورة القتال محمد

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: من الآية١٥) ما فائدته بعد وصف إضافة النعم عليهم؟ والمغفرة سابقة لتلك النعم.

جوابه: أن الواو لا توجب الترتيب في الأخبار، وإفاضة النعم لا يلزم منه الستر، فذكر سبحانه أنه مع ذلك ستر ذنوبهم ولم يفضحهم بها، والله أعلم.

[٤٨] سورة الفتح

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الفتح: من الآية٤)، ثم قال تعالى بعده: ﴿عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (الفتح: من الآية٧).

جوابه: لما ذكر ذلك النصر وما يترتب عليه من فتح مكة ومغفرةٍ له، وتمام لنعمته عليه، وهدايته مع ظهور صدِّهم، وما لقوا من عنت الكفار ختم الآية بقوله تعالى: ﴿عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الفتح: من الآية٤) أي عليماً بما يترتب على ذلك الصد من الفتح وصلاح الأحوال، حكيماً فيما دبره لك من كتاب الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح، وأما الثاني: فلما ذكر ما أعده للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات وتعذيب المنافقين والمشركين ختمه بقوله تعالى: ﴿عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (الفتح: من الآية٧) أي قادراً على ذلك، ﴿حَكِيماً﴾ (الفتح: من الآية٤) فيما يفعله من إكرام المؤمن وتعذيب الكافر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ (الفتح: من الآية١١) الآية، وفي المائدة: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ (المائدة: من الآية١٧).

جوابه: أن آية الفتح مع قوم مخاطبين بذلك؛ فناسب التأكيد والتخصيص بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾ (الفتح: من الآية١١) وآية المائدة عامة لا تختص بقوم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (المائدة: من الآية١٧).

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: من الآية٢٧) فزاد الاستثناء من الله تعالى مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٩) وهو عالم بما كان وما يكون.

جوابه: أن ذلك تعليم لعبادة وتأديب لهم في كل أمر سابق ومستقبل يُعزم عليه.

[٤٩] سورة ق

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (ق: من الآية١) أين المقسم عليه؟

جوابه: قيل: محذوف تقديره: لتُبعَثُنَّ، وقيل: المقسم عليه ((ق)) مقدماً على القسم لدلالته على الإعجاز، وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ﴾ (ق: من الآية٤) وحذفت اللام للبعد بينهما، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ (ق: من الآية٣٧)، وقيل غير ذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ (ق:٢٣) ثم قال: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ (ق: من الآية٢٧) بغير واو.

جوابه: قيل: الأول هو الملك من الحفظة يقول للإنسان، أي ما لديَّ من أعمالك، والثاني قرينه من الشياطين مخاطباً لربه تعالى؛ فانقطع الكلام عن الأول؛ فجاء مستقبلاً بغير واو.

[٥٠] سورة الذاريات

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات:٥٠)، ثم قال تعالى بعدما ختم به الآية الثانية: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: من

الآية٥١) فكرر ختم الآيتين بذلك.

جوابه: أن الفرار الأول من المعاصي إلى الطاعات والإنذار من عقوبة المعاصي، والإنذار الثاني من عقوبة الشرك، وللدلالة على أن الطاعات مع الشرك غير نافعة من العذاب عليه.

[٥١] سورة النجم

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ (النجم: من الآية ٢٣) وقال تعالى بعده: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ (النجم: من الآية٢٨).

جوابه: أن الأولى بعد ذكر آلهتهم وتسميتها ((آلهة)) فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ (النجم: من الآية٢٣) بهواكم من غير دليل، والثانية في تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وإن الظن في أن الملائكة إناث لا يُغني من الحق شيئاً ولا يفيد قاصد علم، والله أعلم.

[٥٢] سورة القمر

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر:١٨) ثم أعاده في القصة ثانياً، فما فائدة ذلك؟

جوابه: يحتمل وجوهاً:

الأول: أن الأول: وعيدٌ لهم بما تقدم لغيرهم من قوم نوح، والثاني: لهم ولغيرهم من بعدهم.

الثاني: أن الأول: أُريد به عذاب الدنيا، والثاني: أريد به عذاب الآخرة، وعبَّر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.

الثالث: أن الأول فيه حذف مضاف تقديره: فكيف كان وعيد عذابي؟ والثاني: أريد به نفس العذاب بعد وقوعه.

[٥٣] سورة الرحمن

مسألة: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ (الرحمن:١، ٢، ٣) قدَّم التعليم على الخلق، وقال تعالى: في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:١، ٢)الآيات، فقدم الخلق على التعليم.

جوابه: أن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن ولم يكن القرآن معهوداً للنبي ﷺ ولا لغيره؛ ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل لما نزل بها: لست بقارئ، وسورة الرحمن نزلت بعد معرفة القرآن وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة ((اقرأ)) أنسب من القرآن الذي لم يعهده، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه والمنة به في سورة ((الرحمن)) أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: من الآيات ٧، ٨، ٩) كرر لفظ ﴿الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: من الآية٩) في ختم الآيات الثلاث.

جوابه: أن ذلك توكيد في إيفاء الحقوق وعدم التطفيف، لفرط الحاجة إليه في المعاملات الجارية بين الناس.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن:١٣) كرر ذلك إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة.

جوابه: أن المقصود بذلك التكرير: التنبيه على شكر نعمة الله تعالى والتوكيد له.

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ (الرحمن:٣٩).

جوابه: تقدم في سورة الحجر، وقيل: لا يُسأل عن ذنبه لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم فتعرفهم الملائكة بذلك فلا يحتاج إلى سؤاله عن ذنبه، ولذلك تلاه بقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الرحمن: من الآية٤١).

[٥٤] سورة الواقعة

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ﴾ (الواقعة:٥٨) وختمه بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة: من الآية٦٢) الآية، ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ﴾ (الواقعة:٦٣) الآية، ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (الواقعة:٦٨) وختم ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: من الآية٧٠)، ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (الواقعة:٧١) ما وجه هذا الترتيب في هذه الآيات؟

جوابه: وجهه أن الله تعالى أنعم على خلق الإنسان أولاً بإيجاده ثم أنعم عليه بما يحتاج إليه من طعامه، ثم ما يحتاج إليه في إصلاح ذلك وهو النار؛ فختم الأول بـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة: من الآية٦٢)؛ لأن من تذكر كي خُلق ونظر في حكمة خلقه وترتيبه؛ دله ذلك على قدرة الله تعالى على بعثه بعد موته، كما نبه عليه تعالى بقوله: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة:٦١)، وختم الثالثة بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: من الآية٧٠) لأن نعمه تستوجب شكره.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً﴾ (الواقعة: من الآية٦٥) وقال تعالى في الماء: ﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ (الواقعة: من الآية٧٠).

جوابه: أن جعل الزرع حُطاماً إذهابٌ له بالكلية صورةً ومنفعة، وجعل الماء أُجاجاً لم يذهب به صورة وربما انتفع به في غير الشرب، والله أعلم.

[٥٥] سورة الحديد

مسألة: قوله تعالى هنا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ (الحديد: من الآية١) وفي الحشر والصف بصيغة الماضي وفي الجمعة والتغابن ﴿يُسَبِّحُ﴾ (التغابن، والجمعة: من الآية١) بصيغة المضارع.

جوابه: لما أخبر أولاً بأنه سبح له ما في السماوات وما في الأرض أخبر أن ذلك التسبيح دائم لا ينقطع، وبأنه باقٍ ببقائه دائمٌ بدوام صفاته الموجبات لتسبيحه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: من الآية١) وفي

بواقيها: ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بزيادة ﴿مَا﴾.

جوابه: لعل ذلك لِتشاكُل ما بعده من الآيات الثلاث وهو قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الحديد: من الآية٥)، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (الحديد: من الآية٤)، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ (الحديد: من الآية٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الحديد: من الآية٥) ثانياً ما فائدة ذلك؟

جوابه: أن الأول للدلالة على قدرته بخلقها على البعث؛ ولذلك قال تعالى ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (الحديد: من الآية٢) وختمه بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحديد: من الآية٢)، والثاني للدلالة على أن مصير الأمور كلها إليه وأنه المجازي عليها على ما أحاط علمه من أحوال السماوات والأرض وأعمال الخلق؛ ولذلك قال بعد ذلك: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: من الآية٤) وختمه بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (الحديد: من الآية٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الحديد: من الآية ٢٠).

تقدم في الأعراف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ (الحديد: من الآية٢٠)، وفي الزمر: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً﴾ (الزمر: من الآية٢١) بإضافته إليه تعالى.

جوابه: لما افتتح في الزمر نسبة إنزال الماء وسلوكه ينابيع في الأرض وإخراج ما ينبت به إليه؛ ناسب ذلك نسبة جعله حُطاماً إليه. وهاهنا لم ينسبه إليه بل قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ﴾ (الحديد: من الآية٢٠) فنسب الأفعال كلها إلى الزرع.

[٥٦] سورة المجادلة

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: من الآية ٤)، وقال تعالى بعده: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (المجادلة: من الآية٥).

جوابه: لما قابل في الأولى الإيمان بالكفر في قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ (المجادلة: من الآية٤)؛ قال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: من الآية٤) وكل عذاب مؤلم مهين، ولما قال تعالى في الثانية: ﴿كُبِتُوا﴾ (المجادلة: من الآية٥) والكبت هو الإذلال والإهانة؛ ناسب ختمه بـ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (المجادلة: من الآية٥).

مسألة: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ (المجادلة: من الآية٦) وفي آخر السورة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (المجادلة: من الآية١٨).

جوابه: أن الأولى مطلق في المؤمن والكافر، والثانية في المنافقين خاصةً لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ بنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: من الآية٢١) وقال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ (غافر: من الآية٥١). تقدم.

[٥٧] سورة الحشر

مسألة: قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الحشر: من الآية٢٢) قدم ﴿الْغَيْبِ﴾ (الحشر: من الآية٢٢) على ﴿الشَّهَادَةِ﴾ (الحشر: من الآية٢٢).

جوابه: لأن علم الغيب أمدح؛ لأن الغيب عندنا أكثر من المشاهدة، ولأنه تعالى يعلمه قبل أن يكون.

[٥٨] سورة الممتحنة

مسالة: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة: من الآية٤)، ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة: من الآية٦) كرر ذلك مرتين، فما فائدة تكراره؟

جوابه: أن الأولى أُريد بها التأسِّي بهم في البراءة من الكفار، ومن عبادة غير الله تعالى، وأُريد بالثانية التأسِّي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي، لقوله تعالى بعده: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الممتحنة: من الآية٦) يريد ثوابه وعقابه.

[٥٩] سورة الصف

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ (الصف: من الآية٧) بالألف واللام، وسائر المواضع ﴿افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ منكَّراً.

جوابه: أن المراد بآية الصف كذبٌ خاص وهو جعلهم البينات سحراً، والمراد في بقية المواضع أي كذبٍ كان؛ ولذلك نكَّره وعطف عليه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ (الأنعام: من الآية٢١)، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (الأنعام: من الآية٩٣)، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٨)، وشبه ذلك.

[٦٠] سورة الجمعة

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ (الجمعة: من الآية٧)، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ (البقرة: من الآية٩٥) في سورة البقرة.

تقدم عند تلك الآية.

[٦١] سورة المنافقون

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: من الآية٧) ثم قال تعالى بعده: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: من الآية٨).

جوابه: لما قالوا: ﴿لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ (المنافقون: من الآية٧) ختم بأنهم ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: من الآية٧) أي: لا يفهمون أن الأرزاق على الله تعالى، وأن منعهم ذلك لا يضرهم؛ لأن الله تعالى يرزقهم إذا منعوهم من جهة أخرى، فلما كان الفكر في ذلك أمراً خفياً يحتاج إلى فكر وفهم، وأن خزائن الله سبحانه مقدورته إذا شاءها قال: ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: من الآية٧) وأما ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: الآية٨) فرد على عبد الله بن أبي [1] حين قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ

---

(١) هو عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول. انظر/ الأعلام (٦٥/٤).

﴿الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون: من الآية٨) لأن ذلك يدل على عدم علمه أن العزة لله وللرسول يعزُّ من يشاء، ويذل من يشاء، فمنه العِزة وهو مُعطيها لمن يشاء، وليس ذلك إلى غيره، وذلك من الأمور الظاهرة لمن عرف الله تعالى، فجَهَّلَهم بقولهم ذلك ظهور دليله.

[٦٤] سورة التغابن

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (التغابن: من الآية١) ثم قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (التغابن: من الآية٤)، ثم قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (التغابن: من الآية٤) بإثبات ﴿مَا﴾.

جوابه: لما كان تسبيح أهل السماوات يختلف مع تسبيح أهل الأرض في الكمية والكيفية والإخلاص والمواظبة؛ ناسب ذلك التفصيل بـ﴿مَا﴾، ولما كان العلم معنى واحداً لا يختلف معناه باختلاف المعلومات؛ ناسب ذلك حذف ﴿مَا﴾ لاتحاده في نفسه، ولما اختلف معنى الإسرار والإعلان؛ ناسب ذلك إتيان ﴿مَا﴾ لما بينهما من التباين والفرق بينه تعالى وبين غيره في علم السر والعلن دون السر.

مسألة: قوله تعالى: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ (التغابن: من الآية٩)، وفي الطلاق: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ﴾ (الطلاق: من الآية١١) أسقط ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ (التغابن: من الآية٩).

جوابه: لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (التغابن: من الآية ٤) دخل فيه أعمال الطاعات والسيئات، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ (التغابن: من الآية٧) وهو كفر وسيئة؛ ناسب ذلك ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ﴾ (التغابن: من الآية٩)، أي بعد ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ (التغابن: من الآية٩) في سره أو علنه من أقواله وأفعاله، وآية الطلاق لم يتقدمها ذِكرُ سيئات ولا ما يفهم منه، بل قال: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الطلاق: من الآية١٠) فناسب ذلك ذِكْرُ الصالحات وتَرْكُ السيئات، وأيضاً تقدم فيها تكفير السيئات في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ (الطلاق: من الآية٥) فكفي عن إعادته.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: من الآية١٥) أي محنة تُمْتَحَنُوْن بها، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ (الجمعة: من الآية١٠)، وقال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ (المزمل: من الآية٢٠)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (الليل:٥)، ونحو ذلك من الآيات الدالة على ثناء بعض أرباب الأموال.

جوابه: أنه محمول على الأغلب في الأموال والأولاد، فقد تأتي ((إنما)) ولا يُقصد بها الحصر المطلق كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ (هود: من الآية١٢) وهو بشير أيضاً ورسول وشفيع.

[٦٣] سورة الملك

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ (الملك: من الآية١٦)، ثم قال تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ (الملك: من الآية١٧) قدم الخسف على الحاصب، وفي الأنعام قدَّم المؤخر هنا وأخَّر المُقدَّم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية٦٥).

جوابه: لما تقدم هنا ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)؛ ناسب أن يليه الوعيد بالخسف في الأرض التي أذلها، وآية الأنعام تقدَّمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام: من الآية٦١)، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام:٦٣) وهو فوق الأرض؛ فناسب ذلك تقدم ما هو من جهة فوق.

[٦٤] سورة الحاقة

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقة: من الآية٢٥) وفي سورة انشقت: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق:١٠).

جوابه: قيل: تُغَلُّ يداه إلى عنقه وتُجعل شماله من وراء ظهره، وقيل: تخرج شماله من صدره إلى ظهره فهو من شماله وراء ظهره.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة:٤١، ٤٢) ختم الأولى بـ﴿مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: من الآية٤١) والثانية بـ﴿مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: من الآية٤٢).

جوابه: أن مخالفة نظم القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة، فلا يخفي على أحد، فقول من قال شعر: كُفرٌ وعناد مَحْض، وختمه بقوله تعالى: ﴿مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: من الآية٤٢)، وأما مخالفته لنظم الكُهَّان وألفاظهم فيحتاج إلى تذكير وتَدَبُّر؛ لأن كلاًّ منهما ليس على أوزان الشعر ونظمه، ولكن يفترقان بما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبديع، وتبع بديعه لبيانه، وألفاظه لمعانيه، بخلاف ألفاظ الكُهَّان؛ لأنها بخلاف ذلك كله، والله أعلم.

[٦٥] سورة المعارج

مسألة: قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: من الآية ٤).

تقدم في سورة الم السجدة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ (المعارج:١٩) الآية، وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (النحل: من الآية٧٨).

جوابه: أن الإنسان طُبِعَ على ذلك عند تأهله لذلك وقدرته عليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج:٢٣) وقال بعد ذلك ﴿عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: من الآية٣٤).

جوابه: أنه إما توكيد لأمر الصلاة والمحافظة عليها، أو أن المراد بالدوام: إدامتها وبالمحافظة: القيام بشروطها وفروضها وسننها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ (المعارج: من الآية٢٤) وفي الذاريات: ﴿حَقٌّ

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: من الآية١٠٩) بإسقاط ﴿مَعْلُومٌ﴾.

جوابه: قيل: المراد بآية الذاريات: الصدقات النوافل؛ لقرينه تقدم النوافل، وبهذه الآية: الزكاة لتقدم ذِكْرِ الصلاة؛ لأنها معلومة مقدَّرة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (المعارج٢٦، ٢٧)، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (المعارج:٣٣) لم تذكر الثلاث في سورة المؤمنون.

جوابه: لما تقدم في هذه السورة ذكر النقائض الثلاثة في الإنسان في قوله تعالى ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ (المعارج:١٩)، ﴿جَزُوعاً﴾ (المعارج: من الآية٢٠)، و﴿مَنُوعاً﴾ (المعارج: من الآية٢١) ناسب ذلك جبر المؤمنين بذكر أوصافهم الثلاثة الجميلة حين استثناهم من عموم الإنسان، وأيضاً لما تقدم ﴿لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج: من الآية٣٢)، وتحمل الشهادة من جملة الأمانة فناسب ذكر الشهادة بعد الأمانة.

[٦٦] سورة نوح عليه السلام

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ (نوح: من الآية٤)، ثم قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ (نوح: من الآية٤) فالأول مجوز للتأخير، والثاني يمنع منه.

جوابه: قيل: الأول أجلُ الموت بالنسبة إلى كل واحد، والثاني أجلهم جميعاً بالاستئصال.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾ (نوح: من الآية٢٤)، وقال تعالى في آخر السورة: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَاراً﴾ (نوح: من الآية٢٨) ما وجه التخصيص؟

جوابه: لما قال قبل الأولى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ (نوح: من الآية٢٤)، ناسب قوله: ﴿إِلا ضَلالاً﴾ (نوح: من الآية٢٤)، وقال في آخر السورة: ﴿لا تَذَرْ عَلَى

﴿الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (نوح: من الآية٢٦) وهو دعاء بالهلاك؛ ناسب قوله: ﴿إلا تَبَاراً﴾ (نوح: من الآية٢٨) أي هلاكاً.

مسألة: كيف دعا بزيادة الضلال والتبار ولم يَدع بالهداية وهو نبيٌّ، وكذلك دعاء موسى - عليه السلام - على فرعون وملئه في سورة يونس عليه السلام.

جوابه: أن ذلك كان بعد تحقق عدم إيمانهم بقوله تعالى: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ (هود: من الآية٣٦) فدعاؤه بذلك عند يأسه منهم، وكذلك موسى - عليه السلام - لَعَلَّه بعد أن أعلمه الله تعالى بعدم إيمانهم.

[٦٧] سورة المدثر

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر:١٨، ١٩) ما فائدة تكرير ﴿قَدَّرَ﴾؟

جوابه: أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة [(١)] لما فكر فيما يَرُدُّ به على النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من القرآن، فالأول تقديره: ما يريد بقوله، والثاني أنه قدر أن قوله شعر تردُّه العرب؛ لأنه ليس على طريقة الشعر، قال الله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر:١٩)، والثالث: قدر أن قوله: هو كهانة من كلام الكهان تردُّه العرب لمخافته كلام الكهان؛ فهو قوله تعالى ثالثاً: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر:٢٠).

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (المدثر:٥٤، ٥٥) فالضمائر مذكرة و ((التذكرة)) مؤنثة.

جوابه: أن ((التذكرة)) مصدر بمعنى التذكر وليس مؤنثاً؛ فرجع الضمير إلى مذكر في المعنى، وأتى بلفظ ((التذكرة)) لموافقته فواصل الآيات قبله.

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. انظر/ الكامل لابن الأثير (٢/٢٦).

[٦٨] سورة القيامة

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ (القيامة: ٣٤، ٣٥)، ما معناه، وما فائدة تكراره؟

جوابه: هو دعاء على المخاطب بالويل، وهو مشتق من ((ولَى)) إذا قَرُب؛ معناه: أقرب لك الويل، وأما تكراره فإما تأكيد له، أو أن الأول للدنيا والثاني للآخرة؛ أي ويلٌ فيهما، والله أعلم.

[٦٩] سورة الإنسان

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: من الآية٣) ولم يقل: شكوراً لمطابقة ﴿كَفُوراً﴾ (الإنسان: من الآية٣).

جوابه: أنه جاء باللفظ الأعم؛ لأن كل شكور شاكر، وليس كل شاكر شكوراً، أو قصد المبالغة في جانب الكفر ذمًّا له؛ لأن كل كافر كفور بالنسبة إلى نِعم الله عليه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ (الإنسان: من الآية١٥) و﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً﴾ (الإنسان: من الآية١٧) لما لم يُسمّ فاعله، ثم قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (الإنسان: من الآية١٩) بصيغة الفاعل.

جوابه: أن القصد بالأول وصف الآنية والمشروب، والمقصود بالثاني وصف الطائف.

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ (الإنسان: من الآية٥)، قال تعالى بعد ذلك: ﴿مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾ (الإنسان: من الآية١٧).

جوابه: أشار بالأولى إلى برودتها وطيبها، والثانية إلى طعمها ولذَّتها؛ لأن العرب كانت تستطيب الشراب البارد وتستلذ طعم الزنجبيل، وذكرت ذلك في أشعارها، فظاهر القرآن أنهما اسما عينين في الجنة، فقيل: الكافور للإبراد، والزنجبيل يمزجون بها أشربتهم، يشربها المقربون صرفاً.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ (الإنسان: من الآية٢٩)، وفي المدثر: إنه

تذكرة.

جوابه: أن المراد هنا: هذه السورة أو الآيات،وفي المدثر المراد: القرآن.

[٧٠] سورة النبأ

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَلا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ﴾ (النبأ:٤، ٥) ما فائدة التكرار هنا، وفي التكاثر؟

جوابه: إما توكيد للخبر، أو ستعلمون ما تلقون في الآخرة.

مسألة: قوله تعالى في عذاب جهنم: ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ (النبأ:٢٦)، وقال تعالى في ثواب الجنة: ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ (النبأ: من الآية٣٦).

جوابه: أن الحسنة بعشر أمثالها فحصل العدد في جزائها؛ فناسب ختمها بالحساب، وجزاء السيئة بمثلها؛ فناسب وفاق جزائها لها في الاتحاد.

مسألة: قوله تعالى: ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ (النبأ: من الآية٣٦)، وفي المؤمن: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: من الآية٤٠).

جوابه: أن المراد في سورة المؤمن كثرة الرزق الفائت العدد والحساب، والمراد هنا على حسب أعمالهم؛ لأنهم متفاوتون في الأعمال، أو المراد بقوله تعالى: ﴿حِسَاباً﴾ (النبأ: من الآية٣٦)، أي كافياً من قولك: حسبي الله.

[٧١] سورة النازعات

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (النازعات:٣٤)، وفي عبس: ﴿جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس: من الآية٣٣).

جوابه: أنه لما ذكر في هذه السورة أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات:٦، ٧) الآيات، ثم خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى؛ ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (النازعات: من الآية ٣٤) التي تَطمُّ على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة، وأما آية عبس فتقدمها: ﴿قُتِلَ الْأِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس:١٧) إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس:٢١)، فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي ﴿الصَّاخَّةُ﴾

(عبس: من الآية٣٣)، ومعناه الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان.

[٧٢] سورة التكاثر

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير:٦)، وفي سورة انفطرت: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار:٣).

جوابه: جاء هنا ﴿سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: من الآية٦) لتناسب، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (التكوير:١٢)قيل: تُسجَّرُ فتصير ناراً فتسجَّر بها جهنم، وآية انفطرت مناسبة لبقية الآيات؛ لأن معناها تغيُّر أوصاف تلك الأشياء عن حالاتها وتنقُّلها عن أماكنها؛ فناسب ذلك انفجار البحار لتغيُّرها عن حالها مع بقائها.

مسألة: قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير:١٤)، وقال في سورة انفطرت: ﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: من الآية٥).

جوابه: مع تنويع الخطاب، أن: ﴿أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: من الآية١٤)مطلقاً في الأعمال والصحائف أو الجزاء، وقوله تعالى: ﴿قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: من الآية٥) تفصيل لتلك الأعمال، وقيل: ما قدَّمته للدنيا وأخَّرته للآخرة.

[٧٣] سورة الانشقاق

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق:١٠)، وفي الحاقة: ﴿بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقة: من الآية٢٥).

تقدم في سورة الحاقة.

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق:٢٥) وفي سورة التين: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: من الآية٦) بالفاء.

جوابه: أن الاستثناء في سورة التين متصل فتم الكلام به، والاستثناء في ((انشقت)) منقطع بمعنى ((لكن)) فلم يتم الكلام به؛ لأن المراد بـ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين: من الآية٥) هَرَمُهُ وضعفه وضعف حواسه وعدم قدرته على الأعمال، فصار

تقديره: لكن من كان يعمل صالحاً فإنا لا نقطع ثوابهم وأُجورهم بسبب ضعفهم، كما ورد في الحديث.

[٧٤] سورة الليل

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ (الليل: من الآية١) قدم فيها القسم بالليل وفي الضحى قدَّم القسم بالنهار.

جوابه: لما كان المُقسَمُ عليه هنا سعيَ الإنسان وغالبه المعاصي؛ قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة، ولما كان المُقْسَمُ عليه في الضحى لطفَهُ بنبيّه ﷺ، قدَّم الضحى لحُسْنِهِ.

[٧٥] سورة ألم نشرح "الشرح"

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ (الشرح:٥) ما فائدة تكراره؟

جوابه: أن اليُسر الثاني غير اليسر الأول بدليل تنكيره، والعسر الأول هو الثاني بدليل تعريفه باللام، وفي الحديث ((لن يغلبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن)) إشارة إلى ما ذكرناه.

[٧٦] سورة التين

مسألة: قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: من الآية٦).

تقدم جوابه في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾.

[٧٧] سورة اقرأ

مسألة: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: ١، ٢) كرر ﴿خَلَقَ﴾.

جوابه: أن خلق الأول عامٌّ في كل مخلوق، والثاني خاص بالإنسان وخصَّه لبعد ما بين أول أحواله وآخرها، وقد تقدم تقديم الخلق على التعليم في سورة الرحمن - والله أعلم-.

[٧٨] سورة العاديات

مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ (العاديات:١١) وهو خبير بهم في سائر الأوقات. ما فائدة تخصيص ذلك اليوم؟

جوابه: أن ثَمَّ يظهر للكافر تحقيق كونه خبيراً، وأن المراد مجازاة الخلق بأعمالهم لخبرته بها.

[٧٩] سورة التكاثر

مسألة: قوله تعالى: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر:٣، ٤).

تقدَّم الكلام عليها وعلى تكرارها في سورة النبأ.

مسألة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر:٨)، وقد قال تعالى في مواضع متعددة الإذن في المباحات؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (المؤمنون: من الآية٥١)، و﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ (الأنعام: من الآية١٤١)، و﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ (النساء: من الآية٣) ما فائدة السؤال عما أباحه؟

جوابه: أن المراد: لتُسألُنَّ عن شكر النعيم، فحذف المضاف للعلم له؛ لأن الشكر واجب، أو أنهم يسألون عن نعيمهم من أين حصَّلوه ولِمَ آثروه على طاعة الله تعالى.

مسألة: قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (التكاثر:٦)وفيه توكيد الخبر، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء:١٠١) الآيتين.

جوابه: تقدم في سورة الأنبياء، وقيل: هو خطاب للمشركين خاصةً، والمراد رؤية دخول وحلول فيها وهو عين اليقين، وقيل: هو الخطاب للناس كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ (مريم: من الآية٧١) فالمؤمن ناجٍ منها والكافر داخلٌ فيها.

[٨٠] سورة الكافرون

مسألة: قوله تعالى: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون:٢) إلى آخر السورة، هل

هو تكرار لفائدة أم ليس بتكرار؟

جوابه: ليس بتكرار في المعنى فإن قوله تعالى ذلك جوابٌ لقول أبي جهل ومن تابعه للنبي ﷺ: هلُمَّ نشترك في عبادة إلهك وآلهتنا، اعبد آلهتنا عاماً ونعبد إلهك عاماً، فأخبر أن ذلك لا يكون فقول: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون:٢، ٣) صريح في الآن الحاضر، فنفى المستقبل كالمسكوت عنه، فصرَّح بنفي ذلك أيضاً فيه؛ بقوله تعالى: ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ (الكافرون: من الآية٤) أي في المستقبل ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ (الكافرون: من الآية٤) أي الآن، ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ (الكافرون: من الآية٣) في المستقبل ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون: من الآية٣) في الحال والاستقبال، وهذا إعلام من الله تعالى له بعدم إيمان أولئك خاصة؛ كما قال تعالى لنوح - عليه السلام -: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ﴾ (هود: من الآية٣٦) عامة، فلا تكرار حينئذ، وهذا من معجزاته ﷺ، فإن القائلين له ذلك ماتوا كفَّاراً، ولم يؤمن أحد منهم قط، والله تعالى أعلم.

[٨١] سورة الفلق

مسألة: قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق:٢) عامٌّ في كل شيء، فما فائدة تكرار ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ (الفلق: من الآية٣)، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ (الفلق: الآية٤)، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق:٥).

جوابه: هو تخصيص بعد تعميم ليدل به على أن هذه الثلاثة من شر الشرور على الناس، لكثرة وقوعها بين الناس.

[٨٢] سورة الناس

مسألة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس:١) ما فائدة إثباتها في التلاوة مع عموم الحكم؟

جوابه: توجه الخطاب إلى النبي ﷺ تشريفاً له وتخصيصاً بمزيد الاعتناء بالمخاطبة، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: من الآية١) ونحو

ذلك، وأيضاً لو بُدىء بـ﴿أَعُوذُ﴾ (الناس: من الآية١) لم يكن فيه من التنصيص على الأمر بها ما في قوله: ﴿قُلْ﴾ (الناس: من الآية١)، لتطرق احتمال قصد الإخبار مع بُعدِه.

مسألة: قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: من الآية١) وهو رب كل شيء فما وجه تخصيص الناس؟

جوابه: أن المستعاذ منه الوسوسة وهي مخصوصة بالناس؛ فناسب استغاثتهم بسيدهم وتسميتهم بذلك.

مسألة: قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ (الناس:١، ٢، ٣) إلى آخر السورة، المُستعاذ به في هذه ثلاث صفات، والمسُتعاذ منه شيء واحد وهو الوسوسة، وفي سورة الفلق المستعاذ به بصفة واحدة، والمستعاذ منه أربعة أشياء.

جوابه: أن البناء على المطلوب منه ينبغي أن يكون بقدر المسؤول، والمطلوب في سورة الناس: سلامة الدين من الوسوسة القادحة فيه، وفي سورة الفلق تتعلق بالنفس والبدن والمال، وسلامة الدين أعظم وأهمُّ، ومضرته أعظم من مضرة الدنيا.

مسألة: قوله تعالى ﴿بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ (الناس:١، ٢، ٣) بدأ بـ((رب)) ثم بـ((ملك)) ثم ب((إله))، ما حكمة هذا الترتيب، وما فائدة إعادة الناس ظاهراً مع إمكان ضميره؟

جوابه: أن البارئ تعالى ربّى الناس بنعمه أجنَّةً وأطفالاً وشباباً، فقال: ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: من الآية١)، فلما شَبُّوا عرفوا أنهم عبيد لملك قاهر لهم وهو الله سبحانه وتعالى فقال ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (الناس:٢)، فلما عرفوا وجوده وملكه سبحانه كُلِّفوا بعبادته وأمره ونهيه، وانفراده بالألوهية والعبادة فقال: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ (الناس:٣) فـ ﴿ربُّ﴾ أخص الثلاثة؛ لأنه يقال في البارئ تعالى وفي غيره، و﴿مَلِكِ﴾ (الناس: من الآية٢) أعم منه وأخص من ﴿إِلَهِ﴾ (الناس: من الآية٣)، لأنه يقال: ملك العراق ونحوه، و﴿إِلَهِ﴾ (الناس: من الآية٣) أعم الثلاثة؛ لأنه تعالى ربهم وملكهم وإلههم، ولا يشاركه غيره في ذلك، فحصل الترقِّي من صفة إلى صفة لما في الوصف الثاني

من التعظيم ما ليس في الأول، وفي الثالث ما ليس في الثاني، وأما تكرار الناس: فإما لمشابهة رؤوس الآي كغيرها من السور، لأن الأوصاف الثلاثة أتى بها عطف بيان؛ كقولك: الفاروق أبو حفص عمر، لقصد البيان، فكان التصريح بلفظ ﴿النَّاس﴾ أصرح في البيان من الضمائر، وخصَّ الناس بذلك؛ لأن غيرهم لا يدعي الربوبية والملك والألوهية؛ فبين أنه إله من قد يُصف بذلك، فغيرهم أولى بأنه إلههم، والله تعالى أعلم، وله الحمد والشكر.

تم كتاب ((كشف المعاني في متشابه المثاني)) بعونِ الله تعالى ومنه. بتاريخ: ثاني شوال سنة ثلاثٍ وسبعين وسبعمائة بالقدسِ الشَّريف. غَفَرَ الله تَعالى لكاتِبهِ ولوالديْهِ ولجَميع المسلمين. آمين، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم

وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الفهرست